Journal of King Abdulaziz University: Educational and Psychological Sciences

Volume 4 | Issue 4 Article 3

10-1-2025

Spiritual Education in the Thought of Imam Al-Mu'allimi

Adel Ahmed Ali Haidan
Department of the Holy Quran & Its Sciences and Islamic Studies College of Applied and Educational Sciences-Al-Nadira

Follow this and additional works at: https://kauj.researchcommons.org/jeps

Recommended Citation
Haidan, Adel Ahmed Ali (2025) "Spiritual Education in the Thought of Imam Al-Mu'allimi," *Journal of King Abdulaziz University: Educational and Psychological Sciences*: Vol. 4: Iss. 4, Article 3.
DOI: https://doi.org/10.64064/1658-8924.1144

This Article is brought to you for free and open access by King Abdulaziz University Journals. It has been accepted for inclusion in Journal of King Abdulaziz University: Educational and Psychological Sciences by an authorized editor of King Abdulaziz University Journals.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: العلوم التربوية والنفسية، م ٤ع ٤ ص ص : ٥٣ – ٨١ (٢٠٢٥ م)
DOI: 10.64064/1658-8924.1144

التربية الروحية في فكر الإمام المعلمي

Spiritual Education in the Thought of Imam Al-Mu'allimi
(1313 AH - 1386 AH) / (1895 AD - 1966 AD

(١٣١٣هـ إلى ١٣٨٦هـ) الموافق (١٨٩٥م . ١٩٦٦م)

د. عادل أحمد علي حيدان

أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه والدراسات الإسلامية

كلية العلوم الطبيقية والتربوية النادرة جامعة إب – الجمهورية اليمنية ١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م

Dr. Adel Ahmed Ali Haidan
Associate Professor of Islamic Creed and Thought
Department of the Holy Quran & Its Sciences and Islamic Studies
College of Applied and Educational Sciences-Al-Nadira
University of Ibb
Republic of Yemen
1444 AH / 2023 AD

adelhedan77@gmail.com

المستخلص:

يركز الإمام عبد الرحمن المعلمي في منهجه على بناء الإنسان المسلم روحيًا من خلال تحقيق سبعة محاور أساسية. يبدأ بتصحيح العقيدة، حيث يرى أن العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الإيمان، ويؤكد أهمية القيام بفرائض الإسلام باعتبارها أركانًا لا غنى عنها في بناء الفرد والمجتمع. يشدد أيضًا على المحافظة على النوافل لزيادة التقرب إلى الله وتعزيز الصلة الروحية به.

كما يولي أهمية كبيرة لاجتناب المعاصي باعتبارها عقبة أمام نقاء القلب وصفاء النفس. وفي جانب التعاملات، يركز على أهمية المعاملات الحسنة والأخلاق الكريمة في حياة المسلم وعلاقاته مع الآخرين. يُبرز الإمام المعلمي دور التربية الخُلقية في تهذيب النفس وتطوير الفضائل، إضافة إلى أهمية التدبر في آيات الله لفهم مقاصد الدين وتعميق الإيمان.

يعتبر الإمام المعلمي أن التربية الروحية الشاملة تُعزز من علاقة الإنسان بالله، وتُثمر في بناء مجتمع قوي يقوم على الإيمان الصادق والأخلاق النبيلة.

الكلمات المفتاحية : المعلمي، التربية، الروحية، العقيدة، العبادة.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: العلوم التربوية والنفسية، م ٤ع ٤ ص ص : ٥٣ – ٨١ (٢٠٢٥ م)
DOI: 10.64064/1658-8924.1144

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد:

لقد اهتم الإسلام بجوانب الإنسان جميعها فلا يهتم بجانب دون جانب وذلك كي يتربى الإنسان تربية سليمة في عقله وروحه وجسمه قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ القصص: ٧٧.

فالإسلام سلك مسلك الاعتدال في تربية الإنسان، فهناك أناس يهتمون بالجانب المادي دون الالتفات إلى بقية الجوانب الأخرى، بينما نجد نقيض ذلك أناسا آخرين أهملوا الجانب المادي واهتموا بالجانب الروحي، وحرّموا على أنفسهم ما أحل الله لهم من طيبات الدنيا وعطلوا قواهم العقلية فهذا إفراط وذلك تفريط وخير الأمور أوسطها.

فحياة الإنسان المادية لا تنفصل عن حياته العقلية وحياته الروحية، ومشاعره الروحية لا تنفصل عن واقعه المادي. وتفكيره العقلي مرتبط بالجميع.

ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى استعادة مركزية التربية الروحية في مشاريع الإصلاح والتجديد، بحيث تأخذ مكانها اللائق إلى الجوانب الأخرى؛ حتى نحقق إصلاحاً شاملاً ونهضة حقيقية في كل جوانب الحياة؛ فالتربية الروحية أداة فعالة في تغيير السلوك، كما حدث في تغيير واقع العرب بعد بعثة النبي ﷺ، فقد كانت التربية من أعظم مقاصد البعثة النبوية كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ آل عمران:١٦٤. وقد أحدثت التربية الروحية الشريفة التي ربَّى بها النبي ﷺأصحابه تغيراً كاملا في النفوس، وأيقظت الأرواح، وأوجدت نهضة هائلة وحضارة كاملة، لم تعرف لها البشرية مثيلاً، حتى وصف الصحابة ﷺ بأنهم رهبان بالليل وفرسان بالنهار.

ثم ورَّث الصحابة- رضي الله - عنهم في مسلكهم الروحي التابعين وتابعيهم، وبقي هذا الاتجاه الروحي نقياً صافياً حتى بعد تطوره وتحوله إلى مدرسة فكرية واتخاذ مصطلح التصوف ابتداءً من القرن الثالث الهجري، وقد استطاعت هذه المدرسة بأعلامها من أمثال معروف الكرخي (ت ٢٥٥هـ)، والحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)، والجنيد البغدادي (ت ٢٩٨هـ)، أن تبلور فكراً تربوياً عميقاً حول حقيقة التوحيد وإخلاص العبادة لله - تعالى -، ونبذ العبودية للدنيا، وإدراك حقيقة الحياة ومركز الإنسان فيها، وتصفية القلوب وأنواع أمراضها التي تمنع استقامة السلوك وطرق علاجها ... الخ.

كما استعمل الفكر التربوي مفردات التربية والتزكية السلوكية القائمة على الكتاب والسنة والمنضبطة بضوابط الشرع.

واستمر عطاء هذه المدرسة عبر القرون بظهور أعلام مجددين أثروا هذا الفكر وحاربوا انحرافات التصوف والعناصر الدخيلة عليه؛ كالدعوة إلى وحدة الوجود والإباحية وغير ذلك من الانحرافات، ودعوا إلى إصلاح التصوف وتحريره من الخرافات والبدع.

وقد اقتفى رواد الإصلاح والتجديد في العصر الحديث خطى هؤلاء الأعلام ووظفوا البعد الروحي في عملية الإصلاح، - ولا سيما - أن جلَّهم قد نال في نشأته قسطاً كبيراً من التربية الروحية، ومنهم الإمام المعلمي، وقدكان - رحمه الله - منالعلماءالمشهورينبتحقيقاتهالبارعةومؤلفاته النفيسة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

التربية الروحية من أهم الجوانب التي يحتاجها المسلم، وتغذي روحه، وتعمل على تثبيت العقيدة في النفوس، بحيث لا يؤثر فيها ما يحيط بها من تحديات وثقافات مغايرة، ولأهمية هذا الموضوع يحاول الباحث أن يقدم لمحة بسيطة تبرز مكانة التربية الروحية عند الإمام المعلمي، حيث أولى هذا الجانب اهتماماً كبيراً تظهر من خلال مؤلفاته، وتتجلى بشكل واضح في كتابه الخطب والوصايا، وقد حوى هذا المؤلف على كم كبير من الخطب والمواعظ التي تنمي الجانب الروحي والتربوي،

وكذلك في كتاب العبادة الذي ظهر فيه الجانب التربوي والروحي بشكل بارز، وكتابه رفع الاشتباه عن معنى العبادة.

تلك الأسباب وغيرها جعلتني اختار هذا الموضوع للبحث والدراسة.

أهداف البحث:

١. استخراج بعض الآراء في التربية الروحية للإمام المعلمي من خلال كتبه.
٢. إبراز الأفكار العميقة في فكر الإمام المعلمي، كونه أحد رواد الإصلاح والتجديد.
٣. بيانكيفأنالإمامالمعلميأسهمبقسطوافرفيالتربيةالروحيةعلىمستوىالعالمالعربيوالإسلامي.
٤. تسليط الضوء على علم من رواد الإصلاح والتجديد في العصر الحديث من ذوي العناية بالتربية الروحية.
٥. تقديم ملامح عامة لمشرع تربية روحية مستمد مما قدمه أولئك الرواد على المستويين العملي والنظري.
٦. بيان آثار التربية الروحية على الفرد والمجتمع، وإيجاد مجتمع فاضل سليم من الآفات والانحرافات.

منهج البحث: استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وذلك حسب طبيعة البحث الذي بين أيدينا.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة ومبحث تمهيدي، وسبعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجية الدراسة، وخطة البحث.

المبحث التمهيدي: مفهوم التربية الروحية وأهميتها في مشاريع الإصلاح والتجديد والتعريف بالإمام المعلمي.

أولاً: مفهوم التربية الروحية وأهميتها في مشاريع الإصلاح والتجديد.

ثانياً: التعريف بالإمام المعلمي.

المبحث الأول: تصحيح العقيدة، من خلال استيعاب أركان الإيمان الستة وما يتفرع عنها من مسائل.

المبحث الثاني: أداء فرائض الإسلام، ومنها الفرائض الباطنة كإخلاص النية.

المبحث الثالث: المحافظة على النوافل.

المبحث الرابع: اجتناب المعاصي.

المبحث الخامس: المعاملات.

المبحث السادس: التربية الخلقية.

المبحث السابع: تدبر آيات الله.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

قائمة المصادر والمراجع.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: العلوم التربوية والنفسية، م ٤ع ٤ ص ص : ٥٣ – ٨١ (٢٠٢٥ م)
DOI: 10.64064/1658-8924.1144

المبحث التمهيدي

مفهوم التربية الروحية وأهميتها في مشاريع الإصلاح والتجديد والتعريف بالإمام المعلمي

التربية الروحية تعنى بتزكية النفس وتطهير القلب، وتوجيه الإنسان نحو الالتزام بالقيم الإسلامية في حياته اليومية. وهي عنصر محوري في بناء الشخصية المسلمة، لما لها من دور في تحقيق السعادة والسكينة والرضا في الدنيا والآخرة.

أولاً مفهوم التربية: التربية في اللغة بمعنى " الحفظ ، يقال: ربَّ ولده، يُربّه ربّا، وربية تربيباً، وربَّاه تربية، أي حفظه ورعاه ونشَّأهُ، فالتربية هي الإصلاح، والإتمام والزيادة والتنمية".(١) ويقول الراغب الأصبهاني:" الربُّ في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام".(٢)

التربية في الاصطلاح: يعرفها الزناتي بقوله:" إنها عملية تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها روحيا وعقلياً ووجدانياً وخلقياً واجتماعياً وجسمياً، والقادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها".(٣)

ونستطيع أن نستوحي تربيتنا مما علمنا الخالق ـ عز وجل ـ وعلى يدي نبيه محمد ﷺ وفي القرآن الكريم نجد تعريفاً موجزاً وشاملاً للتربية قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ الجمعة: ٢.

فالتربية بهذا المفهوم تشير إلى عملية التعليم والتزكية، فالرسول ﷺ علم أصحابه ﷺ الكتاب والحكمة وطبعهم على التخلق بأخلاقها، وعليها نشأوا وتدربوا تدريباً جسمياً وعقلياً وروحياً؛ فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وبهذه التربية الروحية التي تعلموها كانوا سبباً في تغيير الأمم من حولهم وانتشر دين الإسلام في كل أنحاء المعمورة.

والهدف من التربية الإسلامية هو تحقيق العبودية الخالصة لله ـ سبحانه وتعالى ـ كونها هي الغاية والهدف من خلق الإنسان على هذه البسيطة.

وقد أشار الإمام المعلمي . رحمه الله . إلى أن الهدف من التربية حصول التقوى، وأن عبادة الله هي الغاية من خلق الإنسان بقوله:" أما بعد فأوصيكم . عباد الله . ونفسي بتقوى الله، فاعلموا أنكم إنما خُلقتم للعمل، لا لجمع المال والخول، فيا سعادة من راقب هجوم الأجل، وكان في دنياه على وجل، وياشقاوة من غرّه طول الأمل، وامتداد المُهل؛ فوقع في الزلل، والخطأ والخطل"(٤).

تعريف التربية الروحية : إن الروح هي تلك الطاقة المجهولة التي لا نعرف كنهها ولا طريقة عملها، فذاك سر اختص به الله ـ سبحانه ـ وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾الإسراء: ٨٥ لكنها مع ذلك وسيلتنا للاتصال مع الله، وبدونها يتحول الإنسان إلى جثة هامدة لا حراك فيها، وبوجودها نستطيع مخاطبة الإنسان ثم تربيته ليتجه إلى الغاية التي تنشدها التربية الإسلامية، فالروح تتأثر بالتأديب والتعليم. يقول الإمام المقدسي:" ورياضة النفوس: بالتعلم والتأدب والفرح والسرور والصبر والثبات والإقدام والسماح وفعل الخير ونحو ذلك مما ترتاض به النفوس، ومن أعظم رياضتها الصبر والحب والشجاعة والإحسان، فلا تزال ترتاض بذلك شيئاً فشيئاً حتى تصير هذه الصفات هيئات راسخة وملكات ثابتة"(٥).

---

(١)لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار المعارف، بيروت، ١٣٠٨هـ، ص١٨٤.

(٢)مفردات غريب القرآن، حسن محمدالأصبهاني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ، ص٣٩٩.

(٣)أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد السيد الزناتي، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٩هـ، ص٢٥.

(٤)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ت، ص٤.

(٥) الآداب الشرعية، الإمام أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تم٧٦٣هـ، ت/شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٢، ص٣٧٨.

مفهوم التربية الروحية عند الإمام المعلمي: يرى الإمام بأنها عملية تهذيب النفس وضبطها وفق تعاليم الشريعة الإسلامية، لتكون وسيلة لتحقيق العبودية الخالصة لله، من خلال الاعتقاد السليم، وإقامة الشعائر المفروضة، والمستحبة، ومن خلال المعاملات، وطلب العلم.

وتعد التربية الروحية حجر الأساس في بناء الإنسان المتزن الذي يسعى لتحقيق السمو النفسي والروحي مع الالتزام بالقيم الإسلامية. والإمام عبد الرحمن المعلمي كان من العلماء الذين أدركوا بعمق أهمية التربية الروحية، ليس فقط على مستوى الفرد، بل على مستوى إصلاح المجتمع بأسره.

وقد تميز الإمام بفهم عميق للنصوص الشرعية، واستطاع توظيفها في توجيه النفس الإنسانية نحو غايتها العظمى، وهي عبادة الله تعالى على الوجه الذي يرضيه. في هذا البحث، سنتناول نظرة الإمام للتربية الروحية بمختلف جوانبها.

والتربية الروحية تكتسب عبر رياضة النفوس وتربيتها :"ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة"(١).

ورياضة النفوس لها مدخل أساس وهو القلب.وحياة القلوب غاية مرتجاه، وباباً يلج منه العبد إلى حياة راضية مرضية في الدنيا والآخرة، ومن خلالها يشعر المسلم بالأمن النفسي في كل أحواله. وهو يرى أن من كان قلبه ميتاً بعدم الإيمان وروح العلم والهدى فلا حياة لروحه وهو بذلك من جملة الأموات.

وإذا تساءلنا كيف يتم احياء القلوب وكيف يتم تربيتها تربية روحية، كان الجواب يرى ابن القيم: أن حياة القلب بدوام الذكر والإنابة إلى الله وترك الذنوب والغفلة الجاثمة على القلوب وترك الرذائل والشهوات"(٢).

والتربية الروحية عند الإمام ليست مجرد تحسين السلوك أو زيادة الإيمان الظاهري، بل هي "عملية ديناميكية" تعيد تشكيل القلب والعقل والروح لتصبح في حالة انسجام تام مع تعاليم الإسلام.

وينبغي أن يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب الحميدة، ويعوده الصيانة في جميع أموره الباطنة والجلية ويحرضه بأقواله وأفعاله المتكررات على الإخلاص والصدق وحسن النيات، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، ويعرفه أن هذا سبب لسعادته في الدنيا والآخرة، ويبارك له في علمه وحاله ويوفق في أفعاله وأقواله(٣).

إن من أسوأ ما يؤثر على صفاء الروح اتباع الشهوات والانحراف إلى الزيغ والضلال، لا سيما في عصر كهذا الذي نعيش فيه حيث كثرت أسباب الفتن، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، وبالذات في مرحلة الشباب من حياة الإنسان. وهنا يتبين لنا مفهوم التربية عندما نغذي هذه الروح بالعقيدة الصحيحة ونزودها بمبادئ الإسلام ومقتضيات الإيمان وفضائل الأخلاق الإسلامية، لكي توجه الفطرة الإنسانية الوجهة الصحيحة بالاهتداء إلى خالقها، وعقد الصلة بينها وبين الله في كل لحظة وكل عمل وكل تفكير؛ وحتى تربى الروح تربية إسلامية حقيقة.

ولا يعني ما سبقت الإشارة إليه في بيان مفهوم التربية الروحية أن الإنسان مطالب بالزهد تماماً في مطالب الحياة، أو الوقوف عن السعي في مناكبها والبحث عن خيراتها، بل بضبط هذه الرغائب والشهوات.

إن اجتناب الرذائل والشرور والآثام ثم المسارعة إلى عمل الخير والاستباق إليه هما من طبيعة الحياة الروحية، وإن الحياة الروحية الحقيقية على هذا النحو لا تكون بمجرد الدعوة للانقطاع إلى العبادات كواجبات تقليدية، ثم ترك المجتمع والانعزال عنه وقضاء الأوقات بالأوراد والذكر في زوايا المساجد بشكل متصل، فتلك حياة روحية سلبية لا يحبذها الإسلام ولا يدعو إليها، ولنا في رد الرسول صلى الله عليه وسلم على الثلاثة الذين امتنع أحدهم عن الزواج، وأراد الثاني أن يصوم

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١، ص٨.

(٢)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، د.ط، د.مط، د.ت، ج٣، ص٢٤٨.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، ت/٦٧٦هـ، د.ط، د.ت، ج١، ص٢٢.

الدهر، وانقطع الثالث إلى الصلاة انقطاعاً كليا. فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم (أما والله أني لأخشاكم لله لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)(١).

من خلال ما سبق نستخلص أنه يجب أن ننظم حياتنا وفقاً للمعايير الإسلامية العامة التي تحدد منهج الإسلام للحياة الإنسانية، وذلك إذا أردنا أن يكون سلوكنا متوازنا مع طبيعتنا الروحية والجسمية معاً، ومتوازناً مع حياتنا الاجتماعية. ولهذا وضع الإسلام منهجاً للحياة، ودعا إليه، وعلينا أن ندعو اليوم إليه كما دعا إليه الإسلام.

أهمية التربية الروحية :

تعتبر التربية الروحية الوسيلة الروحية الصحيحة لتطبيق الواجبات والفرائض الدينية التي لا يتم كمال إسلام المرء بدونها ممثلة في الأعمال التي يقدمها الإنسان لخالقه امتثالاً للعبودية المطلقة، باعتبارها الغذاء الفعلي للروح.

إن الإنسان في حقيقته ليس ذلك الكائن المادي الذي نحسه ونراه، والذي يطلب حظه من طعام الأرض وشرابها، ولكن حقيقة الإنسان في ذلك الجوهر النفيس الذي صار إنساناً مكرماً سيداً على ما فوق الأرض من كائنات. وذلك الجوهر هو "الروح" الذي يجد حياته وزكاته في مناجاة الله ـ عز وجل ـ وقيام الإنسان بالتوجه إلى الله بمختلف أنواع العبادة، هذه الأعمال السامية هي التي توفر لهذا الروح غذاءها ونماءها وتعطيه مدداً يوميا لا ينفد ولا يغيض(٢).

ولبيان الدور الأساس الذي تؤديه التربية الروحية وموقعها من التربية نجد أن التربية بصفة عامة تتناول عدة جوانب أساسية في كيان الإنسان كالإحساسات والمشاعر الأصلية في الطبيعة الإنسانية، إلا أن الجانب الروحي يعتبر من أهم الجوانب في الطبيعة الإنسانية، بل هو الجانب الجوهري في الكيان الإنساني، وهو الذي يميز الإنسان عن الحيوان، وهو الذي يدفعه في الوقت نفسه إلى التسامي من النزعات والأهواء، وهو الذي يدفعه إلى التضحية بحاجاته المادية في سبيل التسامي الروحي تجاه الله تعالى، وفي سبيل خير الأمة وخير الإنسانية؛ ولهذا كانت التربية الروحية أهمية كبرى لا يمكن أن نستغني عنها بأي حال من الأحوال(٣).

والتربية الروحية تنمي حب الإنسان لله بحيث يؤثر على نفس الإنسان وتبدو عليه آثاره في جميع أقواله وأفعاله، وبدون التربية الروحية يؤدي الإنسان الشعائر الدينية جوفاء من مضمونها؛ ولذلك نلاحظ في حياتنا اليومية التاجر المحافظ على الشعائر الدينية من صلاة وصيام وزكاة وحج ومع ذلك يغش في تجارته، ويحتكر، ونرى الحاكم ومن ولي أمراً من أمور المسلمين مؤديا لهذه الفروض لكنه يظلم ويجور ويشق على الناس، ونرى المعلم مؤديا لهذه الفرائض لكنه لا يؤدي عمله على أكمل وجه، فهذا التدين المنقوص يفتقر إلى التربية الروحية السليمة التي تجعل حياة المسلم كلها عبادة لله. والتربية الروحية تدفع الإنسان إلى التسامي والتكامل في حياته وفي تعامله مع غيره.

ولا يقتصر دور التربية الروحية على الانقطاع إلى العبادة فقط بل إنها تدفع الإنسان إلى الجدية في العمل، فهي توجه الإنسان إلى مختلف الميادين النافعة لكسب الدنيا والآخرة؛ وهذا سبب نهضة الأمة الإسلامية وقوتها في مختلف الميادين الدينية والدنيوية.

لقد نظر الإسلام إلى الإنسان نظرة تكاملية ـ حقا ـ، فأعطى لكل من الجسد والروح والعقل حقه وفق ضوابط محددة تحكمها الشريعة السماوية، فكانت سمته التوازن والاعتدال في كل الآفاق والنواحي، ذلك الاعتدال الذي يليق برسالة عامة خالدة، شرعت صالحة لكل زمان ومكان ولشتى الأجناس والطبقات والأفراد، فكان الاعتدال بين مطالب الروح والجسد،

---

(١)رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (٤٧٧٦) .

(٢) يُنظر: العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ، ص٩٧، التربية الروحية وتنميتها في المدرسة الثانوية، عبد الله الغامدي، رسالة ماجستير، كلية التربية بمكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ، ص٣٦.

(٣) ينظر: أهداف التربية الإسلامية، مقداد يالجن، الرياض، د.ت،ج٢، ص٢٣١.

وبين بواعث الدين وحاجات الدنيا، وبين العمل لهذه الحياة والعمل لما بعد الحياة[١].

ثانيا: التعريف بالإمام المعلمي:

الإمام عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (١٣١٣هـ – ١٣٨٦هـ) يعد من العلماء البارزين في العصر الحديث، ومن الشخصيات التي أثرت في الميدان الفكري والديني، وله إسهامات مميزة في مجال التربية الروحية.

والإمام عبد الرحمن المعلمي كان له منهج فريد في التربية الروحية، يرتكز على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، إضافة إلى دعوته للاجتهاد الشخصي في تحقيق الارتقاء الروحي.

اسمه وكنيته ونسبه ونسبته: هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد بن أبي أبكر بن محمد بن الحسن بن صالح بن عبد الرحمن المعلمي العتمي اليماني[٢]. وهو ينسب إلى بني المعلم من بلاد عُتمة باليمن.

مولده: ولد في أواخر سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف، بقرية المحاقرة من عزلة الطفن، من مخلاف رازح من ناحية عتمة، من قضاء آنس، التابع لمحافظة ذمار[٣].

نشأته: نشأ في بيئة متدينة صالحة، في أسرة علمية تعنى بالقرآن الكريم والعلوم الشرعية. كان والده من العلماء المعروفين، مما أتاح له فرصة مبكرة للتعلم في بيئة تُقدر العلم وتحترم العلماء.

طلب العلم:

بدأ المعلمي رحلته في طلب العلم بحفظ القرآن الكريم وتعلم علوم الحديث والفقه والتفسير على يد كبار علماء اليمن. هذا التأسيس العلمي كان مصحوبًا بتربية روحية تعتمد على التواضع والزهد والتقرب إلى الله. وكان يهتم بتعلم العقيدة الصحيحة، وأثر ذلك على نهجه في تصفية الروح من البدع والخرافات التي كانت منتشرة في بيئته. كما أن البيئة اليمنية، التي كانت تعاني من ظروف معيشية صعبة، علمت الإمام الزهد والتواضع، وهو ما ظهر لاحقًا في حياته العلمية والدعوية.

وقد كفله والداه وكانا من خيار تلك البيئة. قال الشيخ عن نفسه: رُبيت في كفالة والديَّ، وكانا من خيار تلك البيئة، وهي بيئة يغلب عليها التدين والصلاح. ثم قرأت القرآن على رجل من عشيرتنا وعلى والدي، ثم سافرت إلى الحجرية حيث كان أخي الأكبر محمد بن يحيى – رحمه الله – كان كاتبا في المحكمة الشرعية، وهناك تعلمت القرآن والحساب واللغة التركية[٤].

وقد كان المعلمي ـ رحمه الله ـ يجيد إلى جانب اللغة العربية خمس لغات هي: اللغة الإنجليزية، واللغة الفارسية، واللغة التركية، واللغة الأندونيسية، واللغة الأوردية[٥].

والمعلمي ولد في بيئة كانت على صلة قوية بالعلم والمعرفة، فقد نشأ برعاية والده، والذي كان من خيار تلك البيئة، فهي بيئة تغلب عليها الدين والصلاح، وقد حرص والده على رعايته وتعليمه، فكان أول ما بدأ به تعليمه القرآن الكريم، فقد قراه على رجل من عشيرته، ثم على والده حتى أتقن تلاوة القرآن مجوداً، وكانت طريقة القراءة في اللوح.

ثم عهد به أبوه إلى أخيه الأكبر محمد؛ ليدخله المدرسة التي كانت بالحجرية، حيث كان يعمل هناك كاتباً بالمحكمة

---

(١) يُنظر: العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، ص١٧٩.

(٢) ينظر: العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/ الشبراوي بن أبي المعاطي المصري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠٠١١م.

(٣) ينظر: وثيقة بخط الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ضمن مخطوطات مكتبة عبد الله محمد الحكمي، وهذه الوثيقة موجودة لدى الباحث أحمد بن علي بن يحيى بيه، نقلاً عنه في رسالته الموسومة بعنوان: منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف، أحمد بن علي بيه، رسالة ماجستير، بقسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ، ص٨٩.

(٤) ينظر: العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص٨٠ . ٨١.

(٥) ينظر: منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف، أحمد بن علي بيه، ص١٠٥.

الشرعية، فالتحق بها، وتعلم القرآن والتجويد والحساب واللغة التركية، ومكث عبد الرحمن المعلمي في رعاية أخيه محمد مدة من الزمن، تعلم منه النحو ثم تعلم الفرائض، ثم عزم على السفر إلى الحجاز ماراً على بلدة المنيرة في شهر ربيع الأول ١٣٣٦هـ.(١)

انتقاله إلى مكة: انتقل الإمام عبد الرحمن المعلمي إلى مكة المكرمة، حيث عمل كأمين لمكتبة الحرم المكي. هذا المنصب أتاح له فرصة عظيمة لتعميق علمه الشرعي والانخراط في الأعمال الدعوية.

التفرغ للعلم والدعوة: وفي الحرم المكي، تفرغ الإمام لنشر العلم وإرشاد الناس، واهتم بتعليم العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع والخرافات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت.

حياته الروحية في مكة: ارتبط الإمام بالقرآن والسنة: فقد كان الإمام يخصص وقتًا يوميًا لتلاوة القرآن وتدبر معانيه. كما كان يدرس كتب الحديث ويحث الآخرين على تطبيق السنة النبوية في حياتهم اليومية.

عبادة الخلوة: الحرم المكي، بقدسيته وروعته، كان مكانًا مثاليًا لعبادة الخلوة التي كان يحبها الإمام. كان يُعرف بكثرة الذكر والدعاء، لا سيما في أوقات السحر، مما أكسبه مكانة خاصة بين العلماء.

توازن العبادة والعلم: ورغم انشغاله بالدعوة والتعليم، حرص على ألا تكون العبادة الجسدية منفصلة عن العمل العلمي. فقد كان يرى أن طلب العلم ونشره جزءًا لا يتجزأ من تزكية النفس.

العمل في مكتبة الحرم ودوره في التربية الروحية:

بيئة المكتبة: من خلال عمله كأمين لمكتبة الحرم المكي أتاح له الاطلاع على أمهات الكتب، مما ساهم في تطوير منهجه التربوي والعلمي.

تعليم الزوار وطلبة العلم: كان الحرم المكي يعج بالزوار وطلبة العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. الإمام استغل هذه الفرصة لنشر تعاليم الإسلام الصحيحة وغرس القيم الروحية في نفوس الزائرين.

وكان الإمام المعلمي ممن أوتي فهما في الكتاب والسنة، وحاز أدوات البحث والتحقيق، فقد ألف في التوحيد بفروعه، ومن أهم كتبه: كتاب القائد إلى تصحيح العقائد، ودين العجائز أو يسر العقيدة الإسلامية، ورفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، وعمارة القبور، والتأويل، وغيرها من الرسائل، وألف ـ رحمه الله ـ في علوم الحديث، ومن كتبه في علوم الحديث: أحكام الجرح والتعديل وخبر الواحد، والاستبصار في نقد الأخبار، والعمل بالحديث الضعيف، وله رسالة علم الرجال وأهميته، والأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، دافع فيه عن السنة دفاعاً كبيراً، وصنف كتاباً انتقد فيه الكوثري: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، وهو من أشهر كتبه، كما حقق التاريخ الكبير للبخاري، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، والأنساب للسمعاني.

كما ظهرت ملكته الفقهية فيما درسه من مسائل فقهية شائكة، سواء في كتابه التنكيل، أو بحوثه المفردة، كرسالة الربا، ورسالة المواريث في نحو ثلاثين رسالة فقهية، إضافة إلى فتاوي كثيرة في مسائل متفرقة.

وله جهود في التفسير برزت في تفسيره لسور وآيات أفردها بالتفسير، مثل تفسيره للبسملة والفاتحة، وتفسيره لسورة البقرة، وتفسيره لسورة الفيل، وآيات متفرقة في كثير من السور، وأفر د بعضها بتأليف مستقل مثل: تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ النساء: ٢ ، وغيرها.

وقد كتبت رسائل علمية عن جهود الإمام المعلمي في كثير من المجالات منها: رسالة ماجستير بعنوان: الشيخ عبد الرحمن المعلمي وجهوده في السنة ورجالها، منصور السماري، قدمت إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ورسالة

(١) ينظر: وثيقة بخط الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ضمن مخطوطات مكتبة عبد الله محمد الحكمي، مخطوط نشر الثناء الحسن، عبد الرحمن المعلمي، ص٦٦٨، نقلاً: منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف، أحمد بن علي بيه، ص٩٣.

بعنوان: منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف، أحمد بن علي بيه، في الجامعة نفسها. ورسالة بعنوان: الإمام عبد الرحمن المعلمي اليماني حياته وآثاره، أحمد ابن غانم الأسدي.

تطبيقات عملية للتربية الروحية:

١- التزامه الشخصي بالعبادات. كان الإمام يقضي أوقاتًا طويلة في العبادة الخاصة، مثل قيام الليل، وقراءة القرآن، والتفكر في أسماء الله وصفاته.

٢- المجاهدة والمثابرة: الإمام كان يُعرف بإصراره على مجاهدة النفس والتغلب على أهوائها.

٣- الزهد في الدنيا: فقد عاش حياة بسيطة بعيدة عن مظاهر الترف، رغم مكانته العلمية والاجتماعية، مستمدًا ذلك من حياته الأولى في اليمن ومن الزهد الذي يعلمه الحرم المكي.

٤- حب العلم والتعليم: كان يرى أن طلب العلم وتعليمه للآخرين من أفضل وسائل تزكية النفس، وقد بذل حياته في خدمة العلم ونشره.

٥- الإخلاص في العمل: الإمام كان شديد الحرص على أن تكون أعماله خالصة لله، سواء في العبادة أو في التعليم والدعوة؛ يتضح ذلك خلال تسخير وقته للعلم تعلمًا وتعليمًا، وزهده في متاع الدنيا.

٦- الالتزام بالسنة النبوية: فقد كانت حياته في الحرم المكي مليئة بتطبيق السنة، حيث كان يأكل ويشرب ويتحدث ويصلي على هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

٧- أثر تربية الإمام لنفسه على حياته الدعوية والعلمية وتأثيره على طلبة العلم فقد كان قدوة حسنة لطلابه، سواء في اليمن أو مكة، حيث تعلموا منه الالتزام بالشريعة والسعي للتزكية الذاتية.

٨- كان يحث على تخصيص أوقات للتفكر في أسماء الله وصفاته، مما يعمق الإيمان القلبي.

٩- جهوده في دعم العلم والدعوة.

١٠- أسس عدة مشاريع لدعم طلبة العلم.

١١- ركز على نشر الكتب التي تجمع بين العقيدة الصحيحة والتزكية الروحية.

١٢- مواقفه اليومية كمثال عملي. فقد كان يواجه الإساءة بالحلم، مما يعكس تسامح الروح.

وفاته: توفي رحمه الله صبيحة يوم الخميس من شهر صفر عام ١٣٨٦هـ، بعد ما أدى صلاة الفجر في المسجد الحرام، وعاد إلى مكتبه بالحرم حيث كان يقيم، ثم توفي في المكتبة، رحمه الله تعالى(١).

المبحث الأول:

تصحيح العقيدة، من خلال استيعاب أركان الإيمان الستة وما يتفرع عنها من مسائل

منهج التربية الروحية: يبدأ بالتوحيد الخالص، ثم يتفرع إلى القيم الأخلاقية، والعبادة المتزنة، والنوايا الصادقة. الإيمان أساس التربية الروحية، وقد أولى الإمام المعلمي ذلك أهمية كبيرة وركز على تصحيح العقائد، حيث رأى أن التربية الروحية تبدأ من تحقيق التوحيد الخالص لله، وفي ذلك يقول:" أمركم بالإيمان: أن تؤمنوا به وحده أنه إلهكم وإله العالمين، الواحد في ذاته وصفاته وملكه، المهيمن على ما سواه، المنزه عن النقائص، المتصف بالكمالات، عالم الغيب، الخالق المحيي المميت الباعث، المعطي المانع المغني الوارث؛ وأن تؤمنوا بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما انطوى عليه كالبعث والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والحوض، والصراط والميزان"(٢).

وبيّن الإمام أن الغاية من الإيمان جانب مهم في التربية الروحية وهو توجيه السلوك، فقال:" ألا وإن الإيمان الخالص

(١) ينظر: العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص١٣٧.

(٢)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي،ص٧٠. ٧١ص.

ما عقل صاحبه عن المعاصي، ومنعه عن المآثم والمظالم، ووقف به عن الطاعات، فعمل ما أمره به الله ورسوله ﷺ من صلاة وصيام وزكاة وحج، وصدقة وحسن أخلاق وحب وبغض فيه تعالى، لا لغرض دنيوي"(١).

وقد تعرض الإمام المعلمي لمفهوم التوحيد وأكد عليه، فذكر اسم الله تعالى الواحد في كتابه القائد إلى تصحيح العقائد، بقوله: واسم الله تعالى الواحد فلفظ واحد يراد به في اللغة ما يقابل المتعدد، ومن تتبع مو اقعه في القرآن الكريم وغيره من الكلام العربي الفصيح وجده يأتي وصفاً لموصوف ويكون هناك شيء محكوم عليه بالموصوف مع وصفه، فعدم التعدد يكون للمحكوم عليه باعتبار الموصوف قال تعالى:﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾**البقرة: ٢١٣** حكم على الناس فيما كانوا عليه بقوله أمة واحدة، فعدم التعدد ثابت للناس باعتبار أمة أي لم يكونوا أمتين أو أكثر(٢).

وبيّن الإمام العقيدة الصحيحة هي الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وأن الإيمان بالله عقيدة مغروسة في النفوس لا تتغير إلا بما يطرأ عليها من شوائب التربية المغلوطة، وبيّن أن العرب في جاهليتهم كانوا يعترفون بوجود الله قائلاً:" بعث الله محمداً ﷺ إلى الخلق، وكان أول من دعاهم العرب، وكان العرب يعترفون بوجود الله ـ عز وجل ـ وربوبيته، وأنه رب كل شيء، وكانوا يصفونه بما تقتضيه الفطرة، وما بقي لديهم من ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من صفات الكمال، ويفترون عليه أشياء فجاء القرآن والسنة بتقريرهم على الحق وردهم عن الباطل..." (٣).

وركز الإمام المعلمي على تنقية مفهوم التوحيد من الشرك، وبين أنه محبط لأعمالهم فقال:" وتحقيقاً لما تقدم من إفراد الله ـ عز وجل ـ بالعبادة وتحقيقا للتوحيد، حذرنا ربنا من الشرك غاية التحذير، فقال:﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾**المائدة: ٧٢**.

وقال تعالى(﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾**النساء: ٤٨**، وقال تعالى: مخاطباً أنبياءه ورسله الكرام، أنهم لو أشركوا فستحبط أعمالهم ويكونوا من الخاسرين. وقد أعاذهم الله من ذلك فعصمهم من الوقوع في الشرك، ولكن في هذا تحذير للناس كافة، وأن الإنسان مهما بلغ من المكانة فإن هذا لا ينفعه عند الله ـ تعالى ـ بسبب شركه، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾**الزمر: ٦٥**.

وأخرج البخاري ومسلم كلاهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار)(٤)(٥).

وذكر الإمام أن العرب قبل الإسلام كانوا في ضلالة وكفر، وأن السبب في ذلك هي الوسائط التي اتخذوها بينهم وبين الله ـ عز وجل ـ، وزعموا أنهم ما فعلوا ذلك إلا لكي تقربهم من الله عز وجل، وأنهم يرجون شفاعتها عند الله، فبين الله تعالى أنهم قد كفروا بذلك وضلوا ضلالا بعيداً فقال تعالى:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾**يونس: ١٨**.

وذكر الإمام أن هذه الوسائط التي اتخذوها لم تنفعهم شيئا بل كانت سبب بعدهم عن الله سبحانه وتعالى، وبذلك استحقوا أشد العذاب. (٦)

---

(١)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي،ص٧١ص.

(٢) ينظر: القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن المعلمي، ص١٢٧، نقلاً عن منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف، أحمد علي بيه، رسالة ماجستير قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ص١٥٨.

(٣)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي،ص٢٤٥.

(٤)رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة، حديث رقم (١١٨١).

(٥)العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/ الشبراوي بن أبي المعاطي المصري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠٠١١م، ص١٧

(٦)المصدر نفسه، ص٢١ . ٢٢.

وأشار الإمام المعلمي إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل المشركين؛ ليكون الدين كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها لله، وجميع العبادات كلها لله(١).

كما بين أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم(٢).

كما بين الإمام المعلمي أن من الأمور المهمة التي تبين لك التوحيد، وتفسر لك العبادة، وتبعدك عن الشرك؛ الحذر من الغلو والابتعاد عنه، وترك الأسباب التي تؤدي إليه؛ لأن أول شرك وقع في الأرض كان بسبب الغلو بالصالحين، ولذا قال الله تعالى محذراً عباده من ذلك: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾النساء: ١٧١.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾المائدة: ٧٧.**وأخرج الإمام أحمد من حديث زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)**(٣).

وبين الإمام المعلمي أن من كمال الإيمان الزهد بالدنيا وعدم الاغترار بها وفي ذلك يقول: " ومما يبين لك حقيقة التوحيد ـ أيضاً ـ : عدم الاغترار بالدنيا والتعلق بها، والإكثار من حطامها الفاني، فإنه لا يخفى أن من الأسباب الكبيرة التي أوقعت العباد في المعاصي والذنوب؛ بل والشرك والغفلة عن الله ـ عز وجل ـ ؛ تقديم الدنيا على الآخرة وشدة التعلق بها. قال تعالي: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾هود: ١٥ ـ ١٦.(٤)

ومما يفسر التوحيد ويبينه أن يعرف العبد عظمة الله ـ عز وجل ـ وعظيم قدرته ونعوت جلاله، وأن العباد مهما بلغوا من المكانة عند الله عز وجل، فهم عبيد لله مفتقرون إليه، لا ينفعون ولا يضرون أحداً من دونه، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾فاطر: ١ ـ ٢.. والآيات في هذا المعنى كثيرة، فالقرآن كله في بيان عظمة الله وكماله وجلاله، وأن الإنسان ليس بيده شيء إلا ما أقدره الله عليه، قال تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي له الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾الأعراف: ١٨٨(٥) فهنا يبين الإمام المعلمي أن التسليم لله بكل هذه الأمور من تمام التوحيد، وأن مخالفة ذلك نقص وقدح في عقيدته.

كما حذر الإمام المعلمي مما ينافي التوحيد من الأعمال كالطيرة التي هي من أعمال المشركين، وأن المتطير يظن أن الطائر سبب أو علامة، وهذا الظن من قسم التدين؛ وهو تدين بما لم يشرعه الله ـ تعالى ـ فيكون شركاً(٦).

---

(١)المصدر نفسه، ص٢٤.

(٢)يُنظر: المصدر السابق، ص٢٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (٣٢٤٨)، ٣٤٧/١، قال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير زياد بن حصين فممن رجال مسلم.

(٤) العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص٢٨.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٤ . ٣٦.

(٦)ينظر: العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص ٥٧٣.

كما حذر من السحر وأنه منافٍ للتوحيد، وهو شرك لأنه يتضمن خضوعًا يطلب به نفعٌ غيبّي لم ينزل الله تعالى به سلطاناً، كما يتضمن طاعة للشياطين وأعمال من الكفر، وبين أن السحر كفر كما أقره علماء بعض المذاهب المعتبرة، وكذلك تعلمه وتعليمه من الكفر، وأن الساحر يقتل ولا يستتاب، وسواءً سحر مسلما أو ذميا، وأورد الإمام المعلمي أقوال الأئمة الأربعة التي تؤكد كفر الساحر(١).

وحذر الإمام المعلمي من الحلف بغير الله، وأنه منافٍ لمفهوم التوحيد، وفصل القول في معناه وأنواعه، لا يتسع المجال لذكره هنا(٢).

ويقرر المعلمي ـ رحمه الله ـ أن التوحيد الشرعي هو: معنى ومقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله بجميع شروطه. قال ـ رحمه الله ـ" قلت الأدلة التي قدمناها صريحة في أن المطلوب الاعتراف والتصديق والتسليم والرضا والالتزام والعمل بالموجب على وجه التحقيق في كل واحد منها، وذلك لا يكون إلا مع العلم بالمعنى كما قدمنا، فأما حصول هذه الأشياء بمجرد خبر المعصوم مع جهل المعنى فلا يكون على وجه التحقيق كما هو ظاهر، وقد يجمع الجاهل بالمعنى مع الاعتراف بلا إله إلا الله على الوجه المذكور الاعتراف بما يناقض معناها، أعني الشرك، وإنكار حقيقة معناها أعني التوحيد، وهكذا يقال في التصديق وغيره، وحينئذ فلم يحصل له شيء من المقصود وهو توحيد الله ـ عز وجل ـ وتنزيهه والخضوع له وتعظيمه" (٣).

كما يقرر المعلمي وجود الإيمان بالرسل، وهو ركن من أركان الإيمان، ويجب الإيمان به، وفي معرض كلامه عما يجب الإيمان به يقول:" وبأن الأنبياء حق؛ لأنهم مبلغون للأمر والنهي فلا يعلم صحة ذلك إلا بالإيمان بهم"(٤). ومعنى ذلك أنه يجب الإيمان بالرسل كما يجب الإيمان ببقية أركان الإيمان، وبينهما تلازم فمن كفر بركن من الأركان فهو كافر بجميعها.

وأوضح المعلمي مسألة تنزيه أنبياء الله صلوات الله عليهم بكلام موجز المبنى عظيم المعنى، فقال رحمه الله:" من المعلوم من الدين بالضرورة أن الأنبياء صادقون في كل ما أخبروا به عن الله ـ عز وجل ـ وأن من كذّب نبياً في خبر من ذلك فقد كفر، ومعلوم أن جميع ما أخبروا به عن الله ـ عز وجل ـ وأن من كذّب نبياً في خبر من ذلك فقد كفر، ومعلوم أن جميع ما أخبر به الأنبياء في شؤون الدين فهو إخبار الله عن الله ـ عز وجل ـ وهذا الوضوح عند المسلمين بحيث يستغنى إيراد حججه"(٥).

وفي بيان الإيمان باليوم الآخر يقول المعلمي في سياق كلامه عما يجب الإيمان به:" وبالبعث بعد الموت لأنه لا يوثق بالجزاء إلا بذلك"(٦). وهو حقيقة كما قال، فالشرع القويم والعقل السليم يدلان دلالة واضحة على أنه لا بد أن يكون بعد هذه الحياة والموت بعث وجزاء وحساب.

المبحث الثاني: أداء فرائض الإسلام، ومنها الفرائض الباطنة كإخلاص النية.

التربية الروحية في الإسلام عملية التنشئة المتكاملة للجانب الروحي، وغرس الإيمان في النفوس، وتهذيب الغرائز والسمو بنزعاتها، وتوجيه السلوك على أساس القيم الروحية، والمبادئ الأخلاقية التي تستمد من الإيمان الصحيح بالله ـ عز وجل ـ، وتحقيق هذه المفاهيم يتطلب تغذية الروح بمبادئ الإسلام ومقتضيات الإيمان، وهذا الأمر لا يتم إلا من خلال

(١)ينظر: العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص ٥٩٧ . ٦٠٦.
(٢)ينظر: العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص ٦١٢ . ٦٤٠.
(٣) كتاب العبادة، عبد الرحمن المعلمي، ص١٤.
(٤) مخطوط حقيقة التأويل، عبد الرحمن المعلمي، ل ٩.
(٥)القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن المعلمي، ص٨٨، نقلاً عن منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف، أحمد علي بيه.
(٦) حقيقة التأويل، عبد الرحمن المعلمي، ل٩.

ترجمة ذلك إلى واقع عملي من خلال وسائل التربية الروحية وأولها العبادات المفروضة. وتشمل الفرائض الظاهرة التي تندرج فيها فرائض كثيرة يصعب حصرها كأركان الإسلام، وترك المعاصي، والفرائض الباطنة، كإخلاص النية، والانتصار على المعاصي الباطنة مثل سوء الظن والحسد، والتباغض والتدابر، والبعد عن الكيد والعجب، والالتزام بالصدق، والبعد عن النفاق، والخيانة، وأداء الأمانة، والحب والبغض في الله، وعدم الطيرة، والتوبة، والخوف من الله، وحسن الظن به.

ويوضح الإمام أن التربية الروحية ليست مجرد عواطف، بل تتطلب جهدًا عمليًا يوميًا في: العبادات الشخصية: المحافظة على الصلاة في أوقاتها مع الخشوع. والعبادة هي المقصد من خلق الإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات:٥٦.

وهي حق الله على عباده كما جاء في الحديث (حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)[١]. وقد خاطب الله الناس جميعاً بعبادته، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ البقرة: ٢١ .وهذه العبادة التي افترضها الله على عباده لها آثار عظيمة جليلة تعود على الفرد والجماعة، في الدنيا والآخرة، آثار عقدية وفكرية، ونفسية وسلوكية، وصحية ومادية، وتربوية وخلقية، واجتماعية واقتصادية، آثار تنبثق عن العبادة، وتترجمها إلى واقع ملموس وشيء مشاهد محسوس، الأمر الذي به يصلح شأن الفرد والجماعات، وتكسب به الأمة الإسلامية مجدها العريق.

بين الإمام المعلمي في معرض حديثه عن العبادة، ومن خلال النصوص القرآنية يجعل الله سبحانه وتعالى استحقاق العبادة هو كون المعبود خالقاً؛ لأن خلقه للخلق برهان على استحقاقه للعبادة، كقوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾البقرة:٢١. واضح في ذلك. وكقوله تعالى في الرعد {قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾}الرعد:١٦.. يعني وخالق كل شيء هو المعبود وحده. وكقوله تعالى في فاطر: {قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾}فاطر:٤٠.وهو صريح في أن من لا يخلق غيره لا يُعبد، وأن من يخلق غيره هو الذي يُعبد. وبه تعلم أن من حكم خلق الخلق الدليل على استحقاق العبادة.

يعني أن من لم يكن خالقا فلا يصح أن يكون معبوداً، والمعبود لابد أن يكون خالقاً. [٢]

ومن مقتضيات هذه العبادة الإخلاص:

الإخلاص لغة: مصدر أخلص يخلص وهو مأخوذ من مادة (خلص) التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه(٣). والخالص كالصافي إلا أن الخالص ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال: خلصته فخلص قال ابن منظور:" خلص الشيء بالفتح، يخلص خلوصاً وخلاصا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم وأخلصه وخلصه، وأخلص لله دينه: أمحضه وأخلص الشيء اختاره وقرئ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾**الحجر: ٤٠**، قال ثعلب: يعني بالمخلصين الذين أخلصوا العبادة لله تعالى، وبالمخلصين الذين أخلصهم الله . عز وجل . فالمخلصون المختارون،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، حديث رقم (٥٩١٢).
(٢)ينظر: العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٣٠ . ٣١.
(٣) المفردات للراغب، ص١٥٤.

والمخلصون الموحدون، ولذلك قيل لسورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾**سورة: الإخلاص: ١**، سورة الإخلاص، قال ابن الأثير: لأنها خالصة في صفة الله ـ تعالى وتقدس. أو لأن اللفظ بها قد أخلص التوحيد لله ـ عز وجل ـ ، وكلمة الإخلاص: كلمة التوحيد. والإخلاص في الطاعة ترك الرياء(١).

الإخلاص اصطلاحاً:

قال الكفوي:" الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السر والقول والعمل"(٢). وقال حافظ بن أحمد الحكمي:" الإخلاص: وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله ـ تبارك وتعالي ـ ألا لله الدين الخالص (٣)، وقال:" وحقيقة الإخلاص أن يكون قصد العبد وجه الله . عز وجل . والدارالآخرة كما قال تعالى:﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١ ﴾**الليل: ١٧ - ٢١**(٤).

وقد بين الإمام المعلمي أن ما يتعلق بأركان الإسلام الخمسة ورأس ذلك شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن المعلوم أن الإنسان لا يكون مسلماً إلا بنطقه بالشهادتين، مع العلم بمعناها والعمل بمقتضاها.

وقد بين الله تعالى في مواضع من القرآن، معنى كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، ولم يكل عباده في بينان معناها إلى أحد سواه، وهو صراطه المستقيم، كما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨ } الزخرف:٢٨. فعبر عن معنى: لا إله بقوله: {إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦} [سورة الزخرف:٢٦].وعبر عن معنى: إلا الله، بقوله: {ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۝٥١}هود:٥١.

فتبين أن معنى لا إله إلا الله هو: البراءة من عبادة كل ما سوى الله، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى كما تقدم؛ وهذا واضح بين لمن جعل الله له بصيرة، ولم تتغير فطرته، ولا يخفى إلا على من عميت بصيرته بالعوائد الشركية، وتقليد من خرج من الصراط المستقيم، من أهل الأهواء والبدع والضلال"(٥).

وعقيدة التوحيد هي دعوة جميع الأنبياء والرسل و "الحكمة في إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه وأن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله وان اختلفت شرائعهم كما قال تعالى:{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا }المائدة:٤٨."(٦)

ويُعدّ الإخلاص لله –سبحانه– أصلٌ أصيل في دين الإسلام، وهو كذلك أهمّ عملٍ من أعمال القلوب التي يقتضيها الإيمان بالله ـ تعالى ـ، أمّا أعمال الجوارح فقبولها تابع لسلامة النيّة، وإنّ النيّة بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، ولذا كان الإخلاص لله تعالى يمثّل حقيقة الدين وشعار المتقين، قال تعالى: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ } البينة:٥. فالإخلاص شرط قبول الأعمال، وإذا شابه شائبة كان العمل مردودًا على صاحبه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(قال الله تبارك وتعالى أنا

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٢٦/٧.

(٢)الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ،دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م،تحقيق: عدناندرويش– محمدالمصري، ص٦٤.

(٣) معارج القبول، حافظ بن أحمد الحكمي، دار ابن القيم، الدمام، ت/عمر محمود، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ط١، ٤٢٣/٢.

(٤) معارج القبول، حافظ بن أحمد الحكمي، ٤٣٩/٢.

(٥)العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص٤٣.

(٦) شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ٣٤/١.

أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) [١].

وقد أكد الإمام المعلمي علي أهمية الإخلاص بقوله:" وها قد نزل بنا ذو القعدة الحرام، وحان سير من وفقه الله لحج بيته الحرام، فنوصي الحجاج بالإخلاص والتحرز من الرفث. قال ﷺ : (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[٢]"[٣].

ثم بين الإمام المعلمي أن هذا هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، ولا يدخل الإنسان الإسلام إلا بإعلانه للتوحيد والبراءة من الشرك كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾} الزخرف: ٢٦.٢٨[٤].

ثمار الإخلاص:

إذا اتّبع المسلم الوسائل التي تُعينه على أن يكون مُخلصاً في عمله وقوله، وسعى ليحقّق الإخلاص فهذا يعود عليه بالنفع والإيجابيّة من خلال الثمار التي سيُجنيها بسبب إخلاصه، ومن ثمار الإخلاص:

١. الإخلاص لله ـ تعالى ـ شرط قبول الأعمال، وبدون الإخلاص تُحبط الأعمال وترد.
٢. الإخلاص لله تعالى يبعد المسلم عن الشرك، وبدونه قد يقع فيه، وهي من الذنوب العظيمة التي لا يغفرها الله.
٣. إنّ الإنسان الصادق المُخلص ينال من الأجر العظيم الكثير، ويغفر الله له ذنوبه، ويُضاعف له حسناته، فإنّ عمله ـ أيضاً ـ يُعظم ويكبر بمجرّد إخلاصه فيه.
٤. **إنّ الإنسان الذي يُخلص ويسعى ليكون من المخلصين لله؛ فإنّه يكون بحفظ الله ورعايته، وذلك بأنّ الله -تعالى- يُبعد عنه الشياطين،حيث قال الله تعالى:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ص: ٨٢.**
٥. **الإنسان الذي يبتغي بأعماله وأقواله وجه الله تعالى؛ ينال شفاعة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- يوم القيامة،حيث قال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: (أسْعدُ الناسِ بِشفاعَتِي يومَ القِيامةِ مَنْ قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ خالِصاً مُخلِصاً من قلْبِهِ)[٥].**
٦. الإنسان الذي يجعل نيّته في أحواله كلّها لله تعالى؛ يفرّج الله عنه همومه، ويرزقه الراحة والسكينة، وينفّس عنه كُربه، وييّسر له أموره.

ثانياً: أداء الفرائض:

أكد الإمام المعلمي على أهمية أداء الفرائض فقال: " فأولاً فيما يتعلق بأركان الإسلام الخمسة ورأس ذلك شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن المعلوم أن الإنسان لا يكون مسلماً إلا بنطقه

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء حديث رقم (٢٩٨٥).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، (١٤٤٩).
(٣)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٣٢.
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء حديث رقم (٢٩٨٥)، ٢٢٨٩/٤.
(٥) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (رقم الحديث:)٩٩.

بالشهادتين، مع العلم بمعناها والعمل بمقتضاها"[١].

ولأهمية التربية الروحية عند الإمام المعلمي يؤكد على ضرورة الالتزام بالعبادات كونها سبب سعادة الإنسان بالدنيا والآخرة بقوله: "فعليكم بالصلاة فرضاً، وعليكم بالصلاة نفلاً، وعليكم بالصيام؛ فإنه جُنَّةٌ من النار، وعليكم بالصدقة، فإنها حجاب من أسواء الدنيا والآخرة"[٢].

وقال عن الصلاة:" وأما الصلاة التي هي الركن الثاني فهي توحيد عملي؛ لأنها توجه لله وخضوع له وصلة بين العبد وربه، فالنداء لها يكون بتكبير الله وتعظيمه، وبالشهادة له بالوحدانية، ولرسولهبالرسالة، ثم يختم الأذان بتوحيده وتكبيره، ثم يفتتحها المصلي بإعلانه أن الله أكبر من كل شيء، ثم يناجي ربه ... وينزه العبد ربه من كل نقص، ويحمده ويعظمه. ثم يخبر عن توحيده لربه، ثم عندما يقرأ الفاتحة وهو قسمان ثناء من العبد على ربه، ودعاء له بأن يهديه صراطه المستقيم ... ثم شرع له أن يكبر ويخر ساجداً فيضع أصبعيه على الأرض بين يدي ربه، راغماً له أنفه، خاضعاً له قلبه وجوارحه، متذللاً لعظمته، خاضعاً لعزته، أذل شيء وأكسره لربه تعالى مسبحاً له بعلوه، قد طابق له قلبه حال جسمه، فسجد القلب كما سجد الوجه، فأحرَ ابه في هذه الحال أن يكون أقرب إلى ربه، منه في غيرها من الأحوال، ثم إذا جلس بين السجدتين يكون قد تمثل جاثيا بين يدي ربه، ملقياً نفسه بين يديه، معتذراً إليه مما جناه، راغباً إليه أن يغفر له ويرحمه، ... فإذا أكمل صلاته ولم يبق له إلا الانصراف شرع له الجلوس بين يدي ربه مثنياً عليه بأفضل التحيات التي لا تصلح إلا له ولا تليق بغيره، ثم يعطف عليها الصلوات وكله لله؛ فالتحيات له ملكاً والصلوات له عبودية واستحقاقاً ثم الطيبات كذلك"[٣].

وأكد الإمام على أن ترك الصلاة خروج عن الإسلام بقوله:" وإن ترك الصلاة هرب من الإسلام وتقرب من الكفر، وخروج عن الهدى، ودخول في سبيل الردى"[٤].

وكرر التذكير بأهيمة الصلاة وضرورة المحافظة عليها؛ كونها أحد أركان الإسلام بل جعلها هي الإسلام، فقال:" وإياكم والتهاون بالصلاة، فإنها أحد أركان الإسلام، بل هي الإسلام. قال تعالي: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾النساء: ١٠٣" [٥].

وغالبا ما يذكر أحاديث تدل على أن من ترك الصلاة فهو كافر، كما أكد على ضرورة المحافظة على صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة. واستدل بحديث النبي ﷺ (من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه)[٦].

وبين الإمام أن المحافظة على الصلوات من أحسن الأعمال التي يقوم بها المسلم:" ألا، وإن حسن العمل هو المواظبة على الصلوات والجماعات، والمحافظة على شروطها وواجباتها ومندوباتها، واجتناب مبطلاتها ومكروهاتها، وإيتاء الزكوات بأماناتها... والمداومة على كتاب الله وذكره..." [٧].

وذكر الإمام أن ترك هذه الفرائض يعد كفراً ويستشهد بأحاديث النبي ﷺ :" وقال ﷺ :(عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث، عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة ألا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان) [٨]

---

(١)العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص٤٨.
(٢)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٥٣.
(٣) العبادة الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص٤٩ . ٥٠ .
(٤)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٥٨.
(٥)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص١٧١.
(٦).أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والترمذي، (٥٠٠)، والسنائي(١٣٦٩)، وقال الترمذي: حديث أبي الجعد حديث حسن).
(٧)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص١١١.
(٨)أخرجه أبو يعلى في مسنده، أول مسند ابن عباس، حديث رقم(٢٣٤٩)، ج٤، ص٢٣٦. عن ابن عباس قال الهيثمي في المجمع(١٤٠) وإسناده صحيح.

وكان ﷺ يقول:(بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة، فمن تركها فقد كفر) [١]"[٢].

وبين الإمام المعلمي أن الصلاة سبب في تكفير الذنوب، ولكنه أورد حديثًا ضعيفًا تجنبت ذكره هنا مفاده أن الصلاة في جماعة تكفر الذنوب الكبائر منها والصغائر، وبين أن شرط التكفير الصلاة في الجماعة؛ لأنها مع المسلمين، فلا تدخل الصلاة منفردًا والله أعلم؟، فأما حديث (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)[٣] ، فإنما أن أصل الصلوات الخمس لا يجب أن تكون مكفرة للكابئر، فلا يلزم أنها إذا كانت جماعة كفرتها.[٤]

واعتماد الإمام المعلمي على الحديث الضعيف جعله يصدر الحكم السابق، ويرى الباحث أن الإمام قد خالف الصواب في حكمه السابق، من أن الصلاة جماعة تكفر الكبائر.

ومع ما للعبادة من أهمية في التربية الروحية عند الإمام المعلمي إلا أنه حذر من أساليب التربية الروحية الخارجة عن الدين مما تعمله كثير من الفرق الإسلامية فقال:" ثم يعلم فيما عدا ذلك أن الصلاة مشروعة شرعاً مطلقاً، لا مزية لبعضه على بعض، ولا يلتفت إلى مزية لم تثبت شرعاً، وهكذا سائر الصيام وسائر العبادات، وقد تشاغل الناس بأحزاب وأوراد وأذكار زعم بعض الناس أن لها مزية، ولم يثبت ذلك شرعاً، فعلى المسلم أن يعتقد أن تلك المزية لا يعتد بها، ولم يثبت ذلك شرعا. فعلى المسلم أن يعتقد أن تلك المزية لا يعتد بها؛ لأنها غير ثابتة شرعاً. وما لم يثبت شرعاً فليس من الدين في شيء؛ لأن الدين هو ما أنزله الله ـ عز وجل ـ على رسوله محمد ﷺ فبلغه رسول الله ﷺ وتكفل الله ـ عز وجل ـ بحفظه، فحفظته الأمة حفظاً تقوم به الحجة، فما ليس كذلك فليس من الدين في شيء"[٥].

وحذر الإمام من الأساليب البدعية في التربية الروحية، وأن الانشغال بها عن العبادات مهلكة للمسلم فقال:" فمن سول له الشيطان أن يتشاغل بشيء من ذلك عن العبادات الشرعية، والأعمال النافعة، فقد خاب؛ فإن الشيطان يسعى بصرف الناس عن تلاوة القرآن والأذكار الثابتة شرعاً، كالصلاة الإبراهيمية على النبي ﷺ ، ونحوها من أعمال الخير كالسعي في مصالح الأهل وغيرهم من المسلمين، والعمل فيما ينفع المسلمين، أو فيما ينفع العامل من الحلال. فهو يصرف الجهال عن ذلك كله بما ليس من الدين في شيء، حتى لا ينتفعوا في دينهم ولا دنياهم، بل يقعون في البدع المهلكة"[٦].

وعن الزكاة يقول الإمام المعلمي:" وأما الركن الثالث وهي الزكاة، فشأنها عظيم، وأمرها كبير، ولذا عندما يخرج العبد زكاة ماله لله تعالى، والمال من أعظم المحبوبات له، فهذا برهان على إيمانه ... وقد كرر ربنا عز وجل في آيات متتابعة أن إنفاق المال لا بد أن يكون خالصًا له تعالى"[٧].

وأكد على أهمية الزكاة فقال عن زكاة الفطر:" وروى الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة. [٨] يعني: صلاة العيد. وهي واجبة على من وجدها، يخرجها عنه وعمن تلزمه نفقته، ذكراً وأنثى، صغيراً وكبيراً، حراً وعبداً عن كل نفس صاعاً، من غالب قوت البلد. فاغتنموا الفضيلة بإخراجها قبل صلاة العيد، فإن تأخيرها مكروه، للحديث المذكور[٩].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، حديث رقم (٨٢).
(٢)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص١٧٠ . ١٧٠.
(٣) أخرجه أحمد، (٨٧١٥) بهذا اللفظ، وأخرجه البيهقي، في شعب الإيمان، (٢٩٨٢)، صححه الألباني، صحيح الجامع، (٣٨٧٥)، وأخرجه مسلم، (٢٣٣)، باختلاف يسير.
(٤) فوائد المجاميع، عبد الرحمن ين يحيى المعلمي، ت/ علي العمران، ونبيل السندي، دار عالم الفوائد، جدة، المملكة العربية السعودية، ص١٣٠.
(٥)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي،ص٢٥٢.
(٦)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي،ص٢٥٢.
(٧) العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص٨٢.
(٨) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل العيد، حديث رقم (١٤٣٨).
(٩)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٤٥.

وقال في استغلال شهر رمضان بعمل الصالحات:" هذا رمضان قد تقلصت ظلاله وهذا شوال أوشك أن يبزغ هلاله؛ فانظروا ما تودعون وتوّدعون به رمضان من العمل الصالح والدعاء المجاب. فلعل كثيرا منا لا يبلغه من قابل، أو يبلغه فيعمل فيه ما هو فيه الآن عامل؛ فاغتنموا بقية ساعاته، فإنها كنوز الثواب. وما يدريكم لعل ليلة القدر في هذه البقية، فإن كان ذاك، وإلا فالخير خير حيثما وجد، والعمل الصالح أينما كان ليس دونه حجاب"(١).

وقال في التأكيد على فريضة الحج:" عباد الله هذه أشهر الحج، ومواسم العج والثج، فتأهبوا لحج بيت الله الحرام، وتعظيم شعائر الإسلام. فقدر رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله، ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً)(٢). وذلك أن الله . سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ آل عمران: ٩٧(٣).

ومن أنواع العبادة التي اهتم بها الإمام المعلمي في مؤلفاته الدعاء، وبوب ـ رحمه الله ـ لهذه المسألة بقوله الدعاء عبادة، واستدل لذلك بالقرآن الكريم، وبالتعرف على مراد القرآن من اللغة وأقوال أئمة أهل السنة، قال ـ رحمه الله ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ غافر: ٦٠ فكلمة إن في مثل هذا تفيد التعليل على ما صرح به أهل الأصول وغيرهم، أن الدعاء عبادة، كأنه قال ادعوني فإن الدعاء عبادة ومن استكبر عن عبادتي سيدخل جهنهم(٤).

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾غافر: ٦٠)(٥). وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة الدعاء وقرآ الآية)(٦).

كما بين الإمام المعلمي أنه يجوز للعبد أن يدعو بما شاء إلا ما ورد النهي عنه، قال رحمه الله: وقد أباح الله ـ عز وجل ـ للعبد أن يدعوه بما شاء قال تعالى: وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ، والله تعالى لا يخلف الميعاد، ولكنه إذا علم أن ما سأله العبد يعود عليه بمضرة لو أوتيه، يمنعه إياه، ويجعل إجابته لتلك الدعوة نعمة أخرى للسائل خيراً مما سأل(٧).

المبحث الثالث: المحافظة على النوافل

المحافظة على النوافل جزء مهم من التربية الروحية عند الإمام المعلمي سواء كانت نوافل الصلاة، ابتداء من السنن الراتبة التي كان يحافظ عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرها من النوافل مثل صلاة الوتر، وقيام الليل، وصلاة الضحى، وغيرها.

وتحدث الإمام المعلمي عن وجوه الأفضلية في قيام الليل، بأنه في أوله أو أوسطه وآخره، والأفضل بعد نصف الليل. وبين أنه يحصل القيام بأي قدر كان من الليل يكون فيه صلاة، والأفضل قيام داود ـ عليه السلام ـ من نصف الليل إلى

---

(١)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٤٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، (٨١٢)، وقال هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، ورواه ابن ماجه في سننه (٢٨٨٣)، والبزار (٨٦١)، وعموما الحديث ضعيف؛ لوجود هلال بن عبد الله وهو مجهول الحال، والحارث الأعور وهو متروك الحديث.

(٣)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٤٣.

(٤) ينظر: كتاب العبادة، عبد الرحمن المعلمي، ص٣٨١ . ٣٩٢، وبهذا قال الإمام ابن جرير، والإمام ابن كثير، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وغيرهم ، ينظر: جامع البيان، ٥١/٢٤، تفسير القرآن العظيم، ٩٣/٤، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٩٦/٧.

(٥) رواه أحمد في مسنده، ٢٦٧/٤، وفي سنن أبي داود كتاب الصلاة باب الدعاء، حديث رقم (١٤٧٩)، ٧٦/٢، وفي سنن الترمذي، كتاب الدعاء، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم (٣٣٧٢)، ٤٥٦/٥، وقال الحاكم صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

(٦) الحديث في المستدرك، ٦٦٧/١، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٠٦/٤ . ١٠٧، برقم (١٥٧٩).

(٧) ينظر: العبادة، عبد الرحمن المعلمي، ص٣٨٥. ٣٩٨.

أن يبقى سدسه، وبين أنه يحصل أصل السنة بالصلاة قبل النوم أو بعده، وأنه يحصل أصل السنة بأي عدد كان والأفضل أن لا يزيد على إحدى عشرة ركعة، ولا ينقص عن سبع كما صح من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وبين بأن الصلاة مثنى مثنى، وبغير ذلك كأربع وغيرها، والأفضل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم سائله بقوله: (صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى)[١].

ويحصل أصل السنة بالصلاة في المسجد، والبيت أفضل، ويحصل أصل السنة بالصلاة في جماعة، والمنفرد أفضل[٢]. كما حث على كثير من السنن مثل: ركعتا الفجر، والعيدان، والكسوف والاستسقاء وقيام رمضان.

أو الصيام وتشمل نوعين من النوافل، الأول المؤكدات كصيام يوم عرفة، وعاشورا، وست من شوال، والنوع الثاني يشمل سائر الأيام عدا الأيام التي يكره صيامها.

ونوافل الحج والعمرة. كما يدخل في هذا الباب المحافظة على نوافل الأذكار، وأفضل الذكر دعاء – الله سبحانه– وتعالى – وخاصة في الأوقات التي يستحب فيها الدعاء، والإكثار من التسبيح والتكبير وغيرها من الأذكار، وأول ما يهتم به المسلم في التربية الروحية هي قراءة القرآن.

وفي نوافل الصدقات يقول:" إن هذا اليوم للصدقة فيه أجر عظيم، فأكثروا فيه من الصدقات على الفقراء والمساكين، – لا سيما – من كان من قرابتكم، فإن صلة الرحم من أهم المشروعات"[٣].

وفي حديث الصدقة: (لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كنا يُربي أحدكم فلوَّه أو قلُوصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم)[٤]. فسروا التربية بمطلق الزيادة، أي أن الله – عز وجل – يضاعفها أضعافاً كثيرة، فإذا تصدق أحدنا بتمرة أخذها الله عز وجل وضاعفها، ثم إذا اقتدى به آخر فتصدق ضم الله – عز وجل – مثل أجر هذا الآخر إلى تلك التمرة، وهكذا في الصدقات المتسلسلة. وإذا استعان المتصدق عليه بالتمرة أو أحد المتصدَّق عليهم بالصدقات المتسلسلة عنها على فعل طاعة، ضم الله – عز وجل – مثل أجره إلى تلك التمرة.

وإذا استعان بها على زواج فكذلك. وكذا يتولد من الناس ولتلك التمرة أو الصدقات المتسلسلة عنها علاقة في توله، فكلما عمل خيراً ضم الله عز وجل مثل أجره إلى التمرة. وكذا كل من يتولد من ذلك المولود إلى يوم القيامة والله أعلم[٥].

وبين أن نوافل الصدقات لا تقبل إلا إذا كانت حلال المصدر طيبا، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾المؤمنون: ٥١، وفي حديث مسلم[٦]: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا)[٧].

وذكر أن أفضل الصدقة ما لم تخلَّ بالكفاف. أي ما تركت لصاحبها ما يكفيه. والمقصود أن المتصدق له حالان:

الأولى: أن يتصدق وقد بقي له ما يكفيه.

الثانية: أن يتصدق بقوته الذي هو محتاج إليه.

فالأولى أفضل. والحاصل أن للمتصدق في الأمر نفسه ثلاثة أحوال:

الأولى: أن يتصدق وقد بقي عنده أكثر مما يكفيه.

الثانية: أن يتصدق وقد بقي عنده ما يكفيه فقط.

---

(١) أخرجه البخاري، كتابالوتر، باب ما جاء في الوتر، حديث رقم (٩٤٦).

(٢) ينظر: فوائد المجاميع، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص٢٦٠. ٢٦١.

(٣)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٦٤.

(٤) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم (١٠١٤).

(٥) ينظر: فوائد المجاميع، عبد الرحمن ين يحيى المعلمي، ص١٥٢. ١٥٣.

(٦) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من المال الطيب وتربيتها، حديث رقم(١٠١٥).

(٧) ينظر: فوائد المجاميع، عبد الرحمن ين يحيى المعلمي، ص١٥٣.

الثالثة: أن يتصدق بقوته ويبقى محتاجاً.

وتُفضل الحالان الأوليان على الثالثة. فجهد المقل أفضل من الإيثار غالباً، ولكن قد يكون الإيثار أفضل في بعض المواطن كحال الصحابي وزوجته اللذين آثرا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهما وأطفالهما. وأما لو أن رجلاً ذا بيت آثر سائلاً من المتكففين على الأبواب فهذا غير محمود؛ لأن هذا السائل إذا لم يصب شيئا من هذا البيت سيصيب من غيره؛ فلا معنى لإيثاره، ولا سيما إذا أدى الإيثار إلى هلاك المؤثر أو تضرره(١).

وبوب الإمام المعلمي بابًا بعنوان: العمل في غسل الجمعة، ومع أن بعض العلماء يعدون الغسل يوم الجمعة من السنن المؤكدة، إلا أن المعلمي أشار إلى أنه واجب(٢).

وهكذا في كثير من النوافل التي أولاها الإمام المعلمي الكثير من الاهتمام في كثير من مؤلفاته.

المبحث الرابع: اجتناب المعاصي

من أهم وسائل التربية الروحية . بعد إقامة الفرائض والمحافظة على النوافل . عند الإمام المعلمي هي اجتناب المعاصي، وفي ذلك يقول:" اتقوا الله كما أمر، وانتهوا عما زجر، وحافظوا على المفروضات، ولا تساهلوا عن المندوبات، وإياكم والمحرمات، ولا تقدموا على الشبهات"(٣).

كما أكد على أن المعاصي سبب النكال في الدنيا والآخرة فقال:" أوصيكم ونفسي بتقوى الله في جميع الأحوال، وأحذركم ونفسي من معصيته فإنها سبب الطرد والنكال... "(٤).

ومن أهم المعاصي وأخطرها على المسلم هي الشرك بالله كونها من الذنوب التي لا يغفرها الله تعالى وفي كتاب العبادة خصص الإمام المعلمي بعض المباحث للتحذير من هذه الشركيات ومنها الطيرة وفي ذلك يقول:" لا يخلو المتطير أن يظن أن الطائر سبب أو علامة، وعلى الحالين فهذا الظن من قسم التدين؛ لأنه لا يعرف له توجيه من الأصول العادية المبنية على الحس والمشاهدة، وهو تدين بما لم يشرعه الله عز وجل؛ فيكون شركاً، وإنما الشأن في حصول الظن، وقد جعل الشارع ضابط حصول الظن هو العمل به"(٥).

وقد يكون للمعصية لذة يشعر بها متعاطيها نظراً لغلبة الهوى وإيثار العاجلة، ولكنها لذة منقطعة لا تدوم، بل تذهب سريعاً وتخلف وراءها عواقب وخيمة، وعقوباتٍ متعددة، وحسراتٍ وجراحاتٍ قد تُصيب الإنسان في مَقتل.

ومن آثار الذنوب والمعاصي:

١- قلة التوفيق: فقد يبذل الواحد منا الكثير من الأسباب المادية، ولكنه لا يوفق في حياته.

٢- فساد الرأي.

٣- فساد القلب ومرضه وقسوته وضيقه وهلاكه.

٤- خفاء الحق: صاحب المعصية والهوى، يصاب بمرض عدم إبصار الحق؛ فيبذل حياته في الباطل.

٥- عداوة الخلق وبغضهم.

٦- الوحشة بين العبد وربّه: فصاحب المعصية لا يشعر بالسعادة والأمان.

٧- منع إجابة الدعاء.

٨- محق البركة من الرزق والعمر.

---

(١) ينظر: فوائد المجاميع، عبد الرحمن ين يحيى المعلمي، ص١٥٦.

(٢) فوائد المجاميع، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص١٧٦.

(٣)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٦٦.

(٤)الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ١٦١.

(٥) العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص٥٧٣.

٩- حرمان العلم.

١٠- الابتلاء بالمذلة. قال الحسن: "أبى الله إلا أن يُذلَّ من عصاه".

١١- تسليط الأعداء.

١٢- ضيق الصدر والشعور بالضيق والضنك، قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ }[سورة طه:١٢٤].

١٣- فساد الذرية: من أسباب صلاح الذرية العمل الصالح، واجتناب المعاصي.

١٤- الابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت.

١٥- الابتلاء بالأمراض النفسية، وعدم الشعور بالسعادة والأمن النفسي.

١٦- سوء الخاتمة: فمن شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات في الغالب عليه.

هذه بعض آثار الذنوب والمعاصي التي ذكرها الإمام ابن القيم في كتابه "الداء والدواء"، و"الفوائد"(١)، وهذه الآثار إن اجتمعت على إنسان أهلكته.

واجتناب المعاصي من أهم وسائل التربية الروحية، وأداء العبادة بالشكل الصحيح، والمحافظة على أداء النوافل مرتبط باجتناب المعاصي، فإذا أرد المسلم أن يكون ممن ينال شرف مناجاة الله تعالى، والأنس بذكره في ظلمات الليل، فليحذر الذنوب، فإنه لا يوفق لقيام الليل من تلطخ بأدران المعاصي، قال رجل لإبراهيم بن أدهم :إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟ فقال :لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف والعاصي لا يستحق ذلك الشرف .وقال رجل للحسن البصري :يا أبا سعيد :إني أبيت معافى، وأحب قيام الليل، وأعد طهوري، فما بالي لا أقوم؟ فقال الحسن: ذنوبك قيدتك، وقال رحمه الله: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل، وصيام النهار .وقال الفضيل بن عياض :إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مكبل، كبلتك خطيئتك(٢).

المبحث الخامس: المعاملات

حرصت الشريعة الإسلامية في أحكامها على منح المكلفين الحرية في المعاملات والتصرفات المالية، من حيث إباحة الملكية الفردية، وإباحة التصرفات المالية المختلفة، ولكن هذه الحرية ليست حرية مطلقة، بل لها قيود وضوابط تضبطها وتجعلها قائمة على ميزان مستقيم، ومن تلك المعايير والقيم: إقامة العدل، ودفع الظلم، فحرصت الشريعة الإسلامية في أحكامها على تحقيق مقصد العدل في سائر التصرفات المالية، وتأكيدها على ذلك بترتيب الثواب والعقاب؛ وهذا له أثره في حفظ حقوق العباد المالية وضمانها، وبالتالي يقوم كل مكلف بأداء ما عليه من واجبات لزمته، وكذلك بأن يطالب بما له من حقوق مشروعة، وفق ميزان عادل، وقسطاس مستقيم.

والمعاملات من المباحث المهمة التي أولاها الإمام المعلمي جل اهتمامه؛ كونها جزءًا لا يتجزأ من الدين، يقول الإمام المعلمي شارحاً معنى الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾النساء: ٢٩:" لا يأكل

(١) ينظر: الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م، ص ٧٦ وما بعدها.

(٢) من الأسباب المعينة على قيام الليل اجتناب الذنوب والمعاصي، د. محمد سلمان حمودة، مقال منشور على شبكة الألوكة، بتاريخ ٧/ ٨/ ٢٠١٣م، على الرابط: https://www.alukah.net/social/0/58583/%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B5%D9%8A/#ixzz8kroiPzFD.

بعضكم أموال بعض، والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالربا والقمار والبخس والظلم ... وهو ما كان بغير استحقاق من طريق الأعواض"(١).

فهو يؤكد نقاء المعاملات بين الناس، بعيدين عن الظلم، فلا تعامل بالربا، ولا يجوز القمار وأخذ أموال الناس بالباطل، ولا يجوز بخس الناس أشياءهم، وإن كانت عن طريق البيع والشراء فلا يجوز فيها البخس، ولا أي ظلم ينتج عن التعامل بين الناس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "المعاملات من المبايعات والإجارات والوكالات والمشاركات والهبات والوقوف والوصايا ونحو ذلك من المعاملات المتعلقة بالعقود والقبوض؛ فإن العدل فيها هو قوام العالمين لا تصلح الدنيا والآخرة إلا به. فمن العدل فيها ما هو ظاهر يعرفه كل أحد بعقله كوجوب تسليم الثمن على المشتري، وتسليم المبيع على البائع للمشتري، وتحريم تطفيف المكيال والميزان، ووجوب الصدق والبيان، وتحريم الكذب والخيانة والغش، وأن جزاء القرض الوفاء والحمد. ومنه ما هو خفي جاءت به الشرائع أو شريعتنا – أهل الإسلام – فإن عامة ما نهى عنه الكتاب والسنة من المعاملات يعود إلى تحقيق العدل والنهي عن الظلم: – دقه وجله –؛ مثل أكل المال بالباطل. وجنسه من الربا والميسر. وأنواع الربا والميسر التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم مثل بيع الغرر وبيع حبل الحبلة وبيع الطير في الهواء والسمك في الماء والبيع إلى أجل غير مسمى وبيع المصراة وبيع المدلس والملامسة والمنابذة والمزابنة والمحاقلة والنجش وبيع الثمر قبل بدو صلاحه وما نهى عنه من أنواع المشاركات"(٢).

بل ذكر الإمام المعلمي قول الإمام الباقر وعكرمة ابن جرير أنهما قالا: كان الرجل يتحرج أن يأكل عند أحد من الناس بهذه الآية السابقة، فنسخ ذلك بالآية التي في سورة النور ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) النور ٦١.(٣)

وذكر الإمام المعلمي أن من الغبن أن يأخذ المشتري أي سلعة بنصف قيمتها من بائع يجهل ثمنها، أو دفع ثمن مضاعف من مشتري يجهل قيمة الزمان والمكان، فهذا من الغبن المنهي عنه. مع ذكر بعض أقوال أهل العلم التي تعتبر ما تراضى به المتبايعان هو المعتبر، فما تراضيا به، فهو القيمة التي يعتد بها الشرع في التجارة، لكن لا يمنع أن يسمى الغبن أكلا بالباطل بالنظر إلى التحقق(٤).

بل وصل به الزهد اعتبار الغني اللئيم الذي يتردد على بيوت أقاربه وأصدقائه ليأكل عندهم غير عازم على المكافأة المعروفة داخلاً في أكل أموال الناس بالباطل(٥).

وحول قاعدة (المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا)، يرى أنه لا يحل لأحدهما أن يستغفل صاحبه، فيفارقه وهو لا يشعر؛ إذ قد لا يكون استحكم رضاه، وكان يريد الفسخ؛ إلا أنه أمهل اعتماداً على أن ذلك لا يفوت، حتى لو رآه يريد المفارقة لبادر بالفسخ(٦). ولو تعامل الناس بهذه الآخلاقيات التي جاء بها الشرع، لذابت الكثير من المشاكل ولخلت المحاكم من المتخاصمين.

المبحث السادس: التربية الخلقية

يؤكد الإمام المعلمي في جانب التربية الروحية على مسألة مهمة في التربية الخلقية وكيفية التعامل مع الآخرين كونها جزءًا مهمًا من الدين الإسلامي، وأن التربية لا تكون فقط مرتكزة على جانب إقامة الشعائر الدينية فقط بعيداً عن علاقة

(١) التنكيل بما في تأنيب ا لكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ج٢، ص٧٦.
(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، أحمد عبد الحليم بن تيمية، ت/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٢، مكتبة ابن تيمية، د.ت، ج٢٨، ص٣٨٥.
(٣) ينظر: التنكيل بما في تأنيب ا لكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ج٢، ص٧٦.
(٤) ينظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٧٨.
(٥) ينظر: المصدر نفسه ، ج٢، ص٧٩.
(٦) ينظر: المصدر نفسه ، ج٢، ص٨٢.

الناس مع بعضهم البعض، فالأهداف الخلقية تدور حول الصفات التي تمثل انعكاساً لحياة المسلم الإيمانية والروحية، وهي صفات يكتسبها المسلم من التوجيهات والإرشادات الواردة في القرآن والسنة، وقد تكون ذاتية ولكنها تؤثر على علاقة الفرد بمن حوله من أفراد المجتمع، وهي ذات طابع اجتماعي، وهي أخلاق إيجابية ومنها إحسان الظن بالآخرين، ومنها أخلاق سلبية حذر الشرع منها، كالغيبة والنميمة، فأكد على ذلك بقوله:" وإياكم والغيبة والنميمة، والكذب، والتفحش، والحسد والحقد، والغدر والخيانة والخداع، والعجب والكبر والخيلاء والرياء، والشتم والظلم، والحب والبغض في غير الله. وعليكم العفة والنزاهة والإخلاص، والرفق والعفو والإصلاح"(١).

كما أكد أن هذه الأخلاق أدواء مضلة بقوله:" وإن الرياء والسمعة والربا، والفحش والتفحش والسفاهة والبذاءة، والحسد والبغضاء والسب والشتم، كلها أدواء مضرة وأهواء مضلة.." (٢).

بل أكد على التربية الخلقية وأن الحياد عنها سبب المهالك وفي ذلك يقول:" وإن من المهالك: السب والشتم، والطعن واللعن، والهمز واللمز، والغيبة والنميمة، والعجب والكبر والحسد، والحب والبغض في غي الله، والطمع والجشع، فكلها وخيمة، واللغو والكذب، وطموح النظر والقلب، فكلها من خصوم الإسلام"(٣).

وبوب المعلمي في كتابه فوائد المجاميع باب بعنوان: باب النهي عن التحاسد، وأورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا)(٤). يقول المعلمي فيه دليل لتعبير العلماء بقولهم: خبر بمعنى الأمر. والله أعلم(٥).١

وأشار الإمام المعلمي إلى أن الإنسان الحاذق اللبيب صاحب العقل الفطن يدرك الأخلاق الحسنة، والأخلاق السيئة، فيتمسك بالأولى ويبتعد عن الأخرى، وفي ذلك يقول:" إذ اللبيب يرى مكارم الأخلاق فيستحسنها، ورذائل الأفعال فيستهجنها، وعوائد الخير فيطلبها، وعواقب الشر فيجتنبها، وما زال أرباب الهمم العلية، والنفوس الأبية يتطلعون إلى محاسن الأخبار ليجعلوها لقاحاً لأفهامهم، وسقالاًلأذهانهم، وتذكرة لقلوبهم، ورياضة لعقولهم"(٦).

كما بين المناسبة بين رسم كلمتي الصدق والكذب وبين معانيهما، قائلاً:" إن الصدق والكذب ليتراءيان للأبصار ضئيلين جداً بالنسبة إلى مقدارهما الحقيقي، فإذا أُنعم النظر فيهما أخذا في الاتساع إلى أن يلتهما جميع الأخلاق"(٧).

ثم بدأ يحلل رسم كل كلمة منهما وبين وضع كل حرف ومعناه؛ ليبين التشابه بين ا لرسم والتسمية قائلاً:" وقد دعاني هذا من حالهما إلى أن أكتب شيئاً في شأنهما، ما بين رسمهما وتسميتهما من المناسبة الغريبة.

الصدق: الصاد: حرف مهموس رخو مُستَعلٍ. فكأنه أشير به إلى أن الصدق أول ما يُفاه به، يهمس به صاحبه خوفاً، ويكون معناه كالكلام المهموس، أي خفياً غير ظاهر، ويكمون ضعيفاً لكراهية الناس له وميلهم إلى الكذب. وهو مع ذلك مستعل في جوهره، ولكن أُشيرَ بجعل حركته كسرةً إلى أنه سافل في صورة حاله.

والدال والقاف مجهوران شديدان مُقلقلان. وكل ذلك إشارة إلى أن الصدق في أوسط أحواله وآخرها يشتهر ويقوى ويظهر.

وزاد القافُ بكونه مستعلياً، وهو بحسب الصورة قابل للفتح والرفع والخفض. ففيه إشارة إلى أن الصدق في آخره هو مستعلٍ في حقيقته، وقد يكون مستعلياً في الصورة، وربما خُفض.

---

(١) الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٥٣. ٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٨.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠٩.
(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، حديث رقم (٥٧١٨).
(٥) ينظر: فوائد المجاميع، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص١٧٠.
(٦) العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص٢٧.
(٧) فوائد المجاميع، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ص٣٣٣.

الكذب: الكاف: مهموس شديد منخفض، كأن ذلك إشارة إلى أن الكذب في أوله يهمس به صاحبُه خوفاً من التكذيب، أو لأن ضميره يلومه إن كان بقي فيه شيء من الحياة.

وقد قيل: إن الكاف مجهور. ويظهر من ذلك نكتة أخرى، وهي أن الكاذب يموه كذبه بحيث يشبه المجهور.

والشدة فيه إشارة إلى أن ا لكذب في أوله شديد التأثير.

والانخفاض إشارة إلى انخفاضه في ذاته، ولكنه حُرك بالفتح إشارة إلى أن صاحبه يصوره بصورة الظاهر المستعلي، وإن كان في نفسه بخلاف ذلك.

الذال: مجهور رخو منخفض. فكأن ذلك إشارة إلى أن الكذب في أوسط أحواله يشتهر، ويضعف ويكون سافلاً حقيقة وكذا صورةً؛ لتحريكه بالكسرة.

وقد قيل: إن الذال مهموس. وتظهر من ذلك نكتة أخرى، وهي أن صاحبه يجهد حينئذ في أن يغفل عنه الناس وينسوه.

الباء: مجهور شديد مقلقل منخفض. الجهر إشارة إلى ظهوره واشتهاره، والشدة إشارة إلى أنه كثيراً ما يشتد الكذب ويقوى بوجود أناس يتعصبون له بجهل أو هوى. وهذا مشاهد بكثرة.

والانخفاض: إلى أنه منخفض في ذاته، مهمل في صورته؛ فقد يعليه التعصب، وقد يخفضه الإنصاف"[(١)].

وبوب بابا للحديث عن معاني الصدق والكذب، وأسهب في ذكر مواضع كثيرة وقسمها إلى إحدى عشر مطلبا في كتابه مجاميع أصول الفقه[(٢)].

المبحث السابع: تدبر آيات الله

التأمل في آيات الله الكونية، كالسماء والأرض والجبال والبحار والكائنات الحية، هو وسيلة عميقة لتربية الروح وتهذيب النفس، حيث يقود الإنسان إلى إدراك عظمة الله سبحانه وتعالى وحكمته في خلق الكون. هذا التدبر يعزز العلاقة الروحية بالله، ويترك أثرًا واضحًا على النفس والسلوك. وفيما يلي تفصيل لأثر تدبّر آيات الله الكونية في التربية الروحية:

١. **تعميق الإيمان بعظمة الله وقدرته:**

عندما يتأمل الإنسان في الكون، يرى النظام الدقيق الذي يدل على عظمة الخالق. يقول الله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾آل عمران: ١٩٠. هذا التدبر يغرس في القلب شعورًا بالإجلال لله، ويدفع المسلم للخشوع في عبادته واليقين بأن الله على كل شيء قدير.

٢. **تحفيز التأمل والوعي الروحي:**

تدبّر الكون يفتح أبواب التأمل العميق ويعزز الوعي الروحي. فالسماء الممتدة بلا عمد، والجبال الراسية، والمحيطات الهائلة، كل ذلك يدعو الإنسان للتفكر في الحكمة الإلهية، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ ﴾ الغاشية: ١٧ - ١٨ ، هذا التأمل يعمق الشعور بالاتصال بالخالق ويُبعد الإنسان عن الغفلة والسطحية.

٣. **إحياء التواضع والخضوع لله:**

الوقوف أمام عظمة الكون يجعل الإنسان يدرك حجمه الحقيقي في هذا العالم الواسع، مما يعزز في نفسه التواضع

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٤ . ٣٣٥.

(٢) ينظر: مجموع رسائل أصول الفقه، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص١٧٧ وما بعدها.

والخضوع لله. تدبّر الآيات الكونية يعلّم المسلم أنه ضعيف أمام قدرة الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ الزمر: ٦٧. هذا الإدراك يدفعه للابتعاد عن الكبر والتعالي، ويُظهر له جمال التواضع كخلق روحي سامٍ.

٤. **تحقيق السكينة والاطمئنان:**

التأمل في جمال الطبيعة والكائنات من حولنا يمنح النفس راحة وطمأنينة. مشاهد السماء المرصعة بالنجوم، وحركة الأمواج، وغروب الشمس، كلها تعكس جمال خلق الله وتُطمئن القلوب. يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ آل عمران: ١٩١.هذا التفكر يربط الإنسان بالخالق ويشعره بالأمان بأن الله هو المتحكم في هذا الكون.

٥. **ترسيخ التوكل على الله والثقة بحكمته:**

تدبّر الآيات الكونية يساعد المسلم على إدراك أن كل شيء في الكون يسير بقدر الله وحكمته. من حركة الكواكب إلى دورة الحياة والموت، كلها تخضع لنظام إلهي دقيق. يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾ يس: ٣٨. هذا التأمل يعزز في النفس الإيمان بأن الله مدبّر الأمور، فيزداد توكل المسلم عليه في كل شؤون حياته .

٦. **إدراك نعمة الله والشكر عليها:**

التأمل في خلق الله يفتح عيون المسلم على نعم الله الكثيرة التي تحيط به. من الماء الذي ينزل من السماء، إلى النباتات التي تنمو بأمر الله، كلها مظاهر للرحمة الإلهية. يقول تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨ ﴾ المؤمنون: ١٨. هذا الإدراك يعزز في قلب المسلم شعور الشكر لله على نعمه، مما يجعله أكثر حرصًا على استخدامها في طاعة الله.

٧. **استلهام دروس الصبر والثبات:**

التأمل في ظواهر الكون مثل تغير الفصول، ونمو الأشجار، وتدفق الأنهار يعلّم المسلم قيمة الصبر. هذه الظواهر تحدث ببطء وتدرّج، مما يزرع في النفس الإيمان بأن كل شيء يحتاج إلى وقت لتحقيقه. يقول الله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ الحشر: ٢١.

٨. **تعزيز الشعور بالمسؤولية تجاه الكون:**

تأمل الآيات الكونية يربي المسلم على الشعور بالمسؤولية تجاه البيئة والحفاظ عليها. إدراك أن هذا الكون أمانة من الله يدفع المسلم إلى العناية به، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾فاطر:

٩. **تقوية الإيمان بالآخرة:**

الآيات الكونية تذكّر الإنسان بأن كل شيء زائل، وأن هذا الكون نفسه دليل على البعث والنشور. يقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡيِۦَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٣ ﴾ الأحقاف: ٣٣. هذا التدبر يجعل الإيمان بالآخرة حيًا في قلب المسلم، مما يدفعه للعمل الصالح.

فتدبّر آيات الله الكونية ليس مجرد نظرة سطحية إلى مظاهر الطبيعة، بل هو طريق عميق لتقوية العلاقة بالله وتعميق

البعد الروحي. من خلال التأمل في الكون، يتعلم المسلم دروسًا في الإيمان، والشكر، والتوكل، والتواضع، مما يعزز تربيته الروحية ويجعله أكثر قربًا من خالقه.

وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تحث على التفكر في مخلوقات الله تعالى، وتدبرها؛ كونها تقود الإنسان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، ومنها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ص: ٢٩، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾محمد: ٢٤، وقال تعالى:﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾المؤمنون: ٦٨. وقال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ ﴾الزخرف: ٣ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ﴾آل عمران: ١٩٠. إنها دعوةٌ إلى التدبر في الكون وتأمّل مدى دقته وتناسق نواصيه وأجزائه.

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر آيات الله سبحانه وتعالى، وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتضع في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.

وفي هذا يقول الإمام المعلمي:" الإجماع من السلف منعقد على وجوب معرفة الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز"(١). فمعرفة الله تعالى من الأمور الواجب أن يعلمها المسلم، ولا يجوز التقليد بها؛ والله سبحانه وتعالى قد ذم التقليد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾الزخرف: ٢٣"ثم ذكر المعارضات وأجاب عنها، إلى أن قال: قولهم: إن التقليد عليه الأكثر والسواد الأعظم، قلنا: ذلك لا يدل على أنه أقرب إلى السلامة، لأن التقليد في العقائد المضلة أكثر من الصحيحة، على ما قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦ ﴾الأنعام: ١١٦"(٢).

وفي التقليد المبني على غير علم كثير من المفاسد أشار الإمام المعلمي إلى ذلك بقوله:" ولما بحثت عن أسباب تقليد الناس لمن يظنون به الخير والصلاح؛ وجدت أنه قد سرى إلى أذهانهم اعتقادهم العصمة لكثير من أولئك حتى لقد بلغتببعضهم، فيثبت لبعض الأولياء كمالات لا يثبتها للأنبياء، وينزهه عن أشياء لا ينزه عنها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"(٣).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث وأهمها:

١. للتربية الروحية أثر كبير على الفرد والمجتمع، وإيجاد مجتمع فاضل سليم من الآفات والانحرافات.
٢. العبادات الباطنة ومنها إخلاص النية من أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.
٣. المحافظة على الفرائض تعين على أداء النوافل، والمحافظة على عليهما، سبب اجتناب

(١) العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، ص١٩٢.
(٢) المصدر السابق، ص١٩٣.
(٣) المصدر السابق، ص٢٢٤.

المعاصي.

٤. التربية الروحية تتم من خلال فهم الدين فهما صحيحًا، وهي عبارة عن منظومة مترابطة تبدأ بالعقيدة الصحيحة، ثم أداء العبادات والمحافظة على النوافل واجتناب المعاصي ثم ظهور ذلك من خلال المعاملة مع الآخرين، والتخلق بالأخلاق الحميدة.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد السيد الزناتي، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٩هـ.
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي،ت/مكتب البحوث والدراسات.، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م.
٤. أهداف التربية الإسلامية، مقداد يالجن، الرياض، د.ت، ج٢.
٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن ابن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
٦. التنكيل بما في تأنيب ا لكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ت/ محمد شمس وآخر، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٤هـ، ج٢.
٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.
٨. حقيقة التأويل، عبد الرحمن المعلمي، ل ٩.
٩. الخطب والوصايا، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ت.
١٠. الآداب الشرعية، الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تم٧٦٣هـ، ت/شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٢.
١١. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١.
١٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، د.ط، د.مط، د.ت، ج٣.
١٣. التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، ت/٦٧٦هـ، د.ط، د.ت، ج١.
١٤. السلسلة الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الشاملة.
١٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، دار إحياء التراث، بيروت، ١٣٧٣هـ.
١٦. سنن الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ت/أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١٧. شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
١٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار التراث المدينة المنورة، د.ت.
١٩. صحيح الجامع الصغير وزياداته،أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٠. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٢١. العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/ الشبراوي بن أبي المعاطي المصري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠٠١١م.
٢٢. التربية الروحية وتنميتها في المدرسة الثانوية، عبد الله الغامدي، رسالة ماجستير، كلية التربية بمكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ.
٢٣. العبادة، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/ الشبراوي بن أبي المعاطي المصري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠٠١١م.
٢٤. فوائد المجاميع، عبد الرحمن ين يحيى المعلمي، ت/ علي العمران، ونبيل السندي، دار عالم الفوائد، جدة، المملكة العربية السعودية، د.ت.
٢٥. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.
٢٦. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، أحمد عبد الحليم بن تيمية، ت/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٢، مكتبة ابن تيمية، د.ت، ج٢٨.
٢٧. الكليات،أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، دارالنشر: مؤسسةالرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م،تحقيق: عدناندرويش – محمدالمصري.
٢٨. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار المعارف، بيروت، ١٣٠٨هـ.
٢٩. مجموع رسائل أصول الفقه، الإمام عبد الرحمن المعلمي، ت/محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
٣٠. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت٤٠٥هـ، ت/مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، مصر، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٣١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٣٢. مسند أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى ين يحيى التميمي الموصلي، ت(٣٠٧هـ)، ت/حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٣٣. مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٣٤. معارج القبول، حافظ بن أحمد الحكمي، دار ابن القيم، الدمام، ت/عمر محمود، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ط١.
٣٥. مفردات غريب القرآن، حسن محمد الأصبهاني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ.
٣٦. المفردات للراغب،
٣٧. منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف، أحمد بن علي بيه، رسالة ماجستير، بقسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ.
٣٨. وثيقة بخط الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ضمن مخطوطات مكتبة عبد الله محمد الحكمي، مخطوط نشر الثناء الحسن، عبد الرحمن المعلمي،
٣٩. من الأسباب المعينة على قيام الليل اجتناب الذنوب والمعاصي، د. محمد سلمان حمودة، مقال منشور على شبكة الألوكة، بتاريخ ٧/ ٨/ ٢٠١٣م، على
٤٠. الرابط: https://www.alukah.net/social/0/58583/%D9%85%D9%86/.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: العلوم التربوية والنفسية، م ٤ع ٤ ص ص : ٥٣ – ٨١ (٢٠٢٥ م)
DOI: 10.64064/1658-8924.1144

Dr. Adel Ahmed Ali Haidan
Associate Professor of Islamic Creed and Thought
Department of the Holy Quran & Its Sciences and Islamic Studies
College of Applied and Educational Sciences-Al-Nadira
University of Ibb
Republic of Yemen
1444 AH / 2023 AD

Abstract

Imam Abdulrahman Al-Mu’allimi focuses in his approach on spiritually nurturing the Muslim individual through achieving seven fundamental aspects. Such process starts with correcting beliefs, as he thinks that proper faith is as the foundation upon which true belief is built. He emphasizes that it is important to perform the obligations of Islam, considering them essential pillars for the development of both individuals and societies. He also stresses that supererogatory deeds must be maintained to be closer to Allah and to strengthen the spiritual connection with Him.

Imam Abdulrahman Al-Mu’allimi places great importance on avoiding sins, viewing them as obstacles to the purity of the heart and soul. Regarding interactions, he highlights the significance of good manners and noble ethics in a Muslim's life and his relationships with others. Imam Abdulrahman Al-Mu’allimi underscores the role of moral education in refining the soul and cultivating virtues, in addition to emphasizing the importance of contemplating the verses of Allah to deepen understanding of the religion's purposes and to strengthen faith.

Imam Al-Mu’allimi believes that comprehensive spiritual education enhances the individual's relationship with Allah and contributes to building a strong society rooted in sincere faith and noble ethics